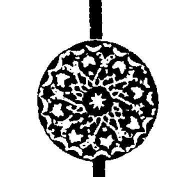


الخطيب في المسجد الحرام

محمد علي حسن الجفري

المحتويات

الصفحة





الحمدلله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله
وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسـان

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم
وتب علينـا إنـك أنت التواب الرحيم



مُقَدِّمَة

«أَلاَ تَرَوْنَ أَنّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ ٱخْتَبَرَ ٱلْأَوَّلِيْن مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ ٱللَّهِ عَلَيهِ ، إِلَى ٱلْآخِرِيْنَ مِنْ هَـٰذَا ٱلْعَالَمِ ، بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ ولَا تَنْفَعُ ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ ٱلْحَرَامَ ﴿ٱلَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً﴾ ، ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِلَادِ ٱلْأَرْضِ حَجَراً ، وَأَقَلِّ نَتَائِقِ ٱلدُّنْيَا مَدَرًا ، وَأَضْيَقِ بُطُونِ ٱلْأَوْدِيَةِ قُطْرًا ، بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ ، وَقُرًى مُنْقَطِعَةٍ ، لا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ ، ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ ، وَغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ ، تَهْوِيْ إِليهِ ثِمَارُ ٱلْأَفْئِدَةِ ، مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيْقَةٍ ، وَمَهَاوِيْ فِجَاجٍ عَمِيْقَةٍ ، وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ ، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهِمْ ذُلُلاً يُهَلِّلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ ، وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقدامِهِمْ شُعْثاً غُبْرًا لَهُ ، قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيْلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ، وَشَوَّهُوا بِاعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ ، إِبْتِلاءً عَظِيماً ، وَامْتِحَانًا شَدِيْدًا ، وَاخْتِبَارًا مُبِيْناً ، وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً ، جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ وَوُصْلَةً إِلَىَ جَنَّتِهِ ، وَلَو أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الحَرَامَ وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ ، بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ ، جَمِّ ٱلْأَشْجَارِ ، دَانِيَ الثِّمَارِ ، مُلْتَفَّ ٱلْبُنَى ، مُتَّصِلَ القُرَى بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ ، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ ، وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ ، وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ ، وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ ٱلْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ ٱلْبَلَاءِ» .

الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه

وبعد ،

فهذا رجل قضى

في مجال التعليم سبعين

عاما ، فهو بحق أستاذ الأساتذة

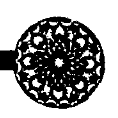
وتخرج على يديه الأمراء

ولكنـــــــه اختـــــار

لنفسه التعريف

التالى





عبدالله خياط الخطيب في المسجد الحرام

وكان إماماً وخطيباً للمسجد الحرام مدة ثلاثين عاماً فذلك شرف ليس بعده شرف . وكان قارئا للقرآن الكريم بترتيل جميل يشجي القلوب ويحرك الشعور . وكان داعية إلى الله بحكمة ولين ، كل ذلك وهو قد ارتبط بالمسجد الحرام في مكة المكرمة أقدس بقعة على أرض الله ، منذ نعومة أظفاره حين كان المسجد الحرام يعج بطلبة العلم وكانت حلقات العلم فيه تتراوح بين سبعين ومائة وعشرين حلقة في اليوم ، بكرة وعشياً ، في الربع الثاني من القرن الرابع عشر الهجري .

وحين انتقل إلى الرياض كانت علوم المسجد الحرام في صدره وعقله ، وقد أصبحت الرياض بلده الثاني حسب تعبيره ، ولكنه كان يحن إلى أم القرى حتى شاء الله أن يعود فيستقر مرة ثانية في مكة المكرمة بعد نحو سبعة عشر عاماً قضاها في قلب الجزيرة العربية بنجد .

ولقد كتب سيرة حياته بعنوان «لمحات من الماضي» ، وكتب زميله الأستاذ أحمد علي أسد الله كتابه «ذكريات» فكان في هذين الكتابين تسجيلاً وتصويراً لتلك المرحلة من حياة الشيخ عبدالله خياط .

وحين أزمعت مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر تأليف كتاب عنه في سلسلة الأعلام التي تصدرها كلفتني بهذه المهمة وحددت لي نحو سبعين يوماً لانجازها وهو زمن قصير ومهلة لا تتناسب مع المهمة ولكني استخرت الله ورجوته أن يوفقني فيها .

وإني لأذكر بالشكر جهود الزميل الأخ عبد الله حسنين في تزويدي بكثير من كتب الشيخ من أجل إعداد الموضوع . وساعدني مركز معلومات مؤسسة عكاظ بكتاب «ذكريات» المشار إليه وبتصوير حلقات كثيرة من مقالات لمحات من الماضي المنشـورة فيما بين ١٤٠٣ و١٤٠٦هـ في جريدتي المدينة وعكاظ . كما ساعدني أخي الكاتب فاروق باسلامة في تزويدي ببعض المراجع منها أعداد قليلة من مجلة «المجلة العربية» التي تضم حلقات «من سوانح الذكريات» للشيخ حمد الجاسر وهي كنز من الكنوز في الأدب والتاريخ .

وإنه ليشرفني أن أكتب عن علم من أعلام مكة المكرمة والمسجد الحرام . قال ياقوت الحموي : «وقد جاء في الأخبار أن أول ما خلق الله في الأرض كان الكعبة ثم دحا الأرض من تحتها فهي سرة الأرض ووسط الدنيا وأم القرى» . فما أكتبه يشكل حلقة وصل بين مقام ومقيم ، والشيخ عبد الله خياط مقيم في أشرف مقام . وذلك ما دعاه إلى أن يعرّف نفسه بالخطيب في المسجد الحرام دون غيره من الألقاب والتعاريف التي يحفل بها الناس في هذه الدنيا .

هذا العلاّمة ورث الكثير من علوم المسجد الحرام وقد أصبحت سيرته العطرة محل القدوة فأحبت عكاظ أن تتزين وتتعطر بنشر كتاب عن حياة الرجل الذي يعتبر بقية الناس .

ولقد تكرم الأستاذ الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان بكتابة بحث ممتاز عن فضيلة الشيخ عبد الله هو خير ما يكتبه أستاذ محقق عرف الشيخ عن كثب فسجل يراعه هذه المعرفة وخصوصاً في العقود الثلاثة الأخيرة من حياة الشيخ عافاه الله ، فجعلت ما كتبه مسك الختام للكتاب .

وكتب السيد محسن أحمد باروم صاحب دار الشروق ودار عالم المعرفة عدة صفحات عن اتصاله بالشيخ عبد الله خياط استشهدت منها بما

يناسب الموضوع . كما ساعدني الأستاذ مصطفى عطار بإرسال شريط فيديو يصور حفل تكريم الشيخ عبدالله خياط من قبل نادي مكة الثقافي الأدبي .

أما تقرير الأستاذ الأديب عبدالعزيز بن أحمد الرفاعي الذي أكرمني به جواباً عن أسئلة وجهتها إلى سعادته ، فقد استفدت منه غاية الاستفادة .

وإني لا أملك سوى أن أشكر كل من ساعدني بمعلومة أو إضافة أو ملاحظة . كما أشكر سعادة الدكتور عبدالعزيز خياط ، ابن المترجم له ، ووكيل عمادة البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى الذي قدم معلومات لا بأس بها عن والده ، وتابع الاتصالات الهاتفية من مكة المكرمة ، وفي كل مرة يتصل كنت استفيد منه ، جزاه الله خيراً . وهو الذي زودني بنسخة كاملة من كتاب «اللمحات» بارك الله فيه ووفقه هو وإخوانه الكرام .

ولقد سعيت لأن يكون هذا الكتاب مشوقاً وأن يضيف جديداً إلى معلومات القارىء ، وأن يخاطب الوجدان بقدر ما يخاطب العقل ، ولكنه لن يبلغ الإجادة التي كتب بها الشيخ عبدالله خياط «لمحاته» ، ولا الظرف والمرح اللذين يتجليان في كتاب ذكريات للسيد أحمد علي أسد الله . ولكني أقول مقتديا بالشيخ عبدالله في مقدمة كتابه «حكم وأحكام من السيرة النبوية» :

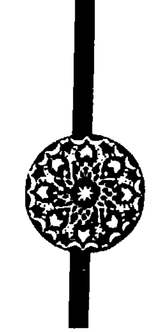
وإن تجـد عيبـاً فسـدِّد الخلـلا
فجـلَّ من لا عيب فيـه وخـلا

وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

محمد علي حسن الجفري
١٤١١/١٢/٥هـ
الموافق ١٩٩١/٦/١٧م

﴿ وَٱلَّذِيْنَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِيْنَ إِمَامًا ﴾

الآية ٧٤ ـ سورة الفرقان



- ١ -
البيئة

أذّن عبدالغني خياط في أذن مولوده اليمنى وأقام الصلاة في الأذن اليسري ، وسمى المولود محمداً في الثلاثة أيام الأولى ثم أصبح اسمه المعتمد عبدالله عبدالغني خياط . وكانت مكة قد ازدحمت بالحجيج عندما ولد عبدالله في ٢٩ شوال ١٣٢٦هـ وانطلقت التلبية فيها للمليك الواحد الذي لا شريك له ولا يشرك في حكمه أحداً . فسمع عبدالله الأذان والاقامة والتلبية في شهره الأول كما سمع نشيد الختان في أوائل حياته على عادة أهل مكة :

يارب يا رحمن   بارك في الغلام

وكان سيدنا إبراهيم عليه السلام قد اختتن وعمره ثمانون سنة - إذ يُروى أن سن التكليف في ذلك الزمان كان ذلك السن . ومن عادة أهل مكة التي تشرف عبدالله بأن ولد فيها أن يبحثوا عن حلّاق متمرس لختان المواليد الجدد . أما قرينه الشيخ حمد الجاسر فيذكر أن نجارًا قام بالمهمة عندما كان في الرابعة من عمره . وقريباً من هذه الصورة كانت عمليات الختان تجري في جزيرة العرب . وبعض أهل مكة قد يرجيء الختان إلى الثانية أو الثالثة وربما الرابعة أو الخامسة من سني العمر . ولم يكن بمكة طبيب باستثناء جميلة بنت ملا أمان أو الشيخ احمد نجار ، وقد كانا يتعاطيان الطب بطريقة هندية أو يونانية ، لا كما نعهد نحن من طب حديث . فإذا سال الدم فلعله لا يوجد أمام الشيخ عبدالغني خياط سوى الرماد أو مسحوق البن لتضميد الجراح (والله أعلم) .

وكان الحجاج قد وصلوا إلى مكة بالآلاف لاستقرار الأوضاع في ذلك العام الذي يوافق ١٩٠٨ ميلادية . ولم يكن المولود عبد الله خياط يعي ما يجري أمام عينيه من أضياف وانتقال وإعادة ترتيب البيوت في موسم الحج لافساح المجال لاستيعاب وفود الرحمن ، ولكن شاءت إرادة الله أن ترتبط حياة عبد الله بالأذان والاقامة والتلبية طيلة حياته . فأصبح ذكر الله على الدوام حديقة روحه ومناط أشواقه .

وتوجه الشيخ عبد الغني وزوجه إلى الله أن يحفظ طفلهما عبد الله وينبته نباتاً حسناً ويبارك فيه . وكانت أبواب السماء مشرعة . فأهل مكة هم جيران الحرم ، وقد دعا لهم إبراهيم عليه السلام ، فكانت مكة مهوى الأفئدة للبشر الذين من خارجها ، أما سكان مكة فلا توجد بقعة على الأرض أقدس من بقعتهم . وهذه ميزتهم على خلق الله ، وأفئدتهم إلى الله تتجه إذا انزلق بعض ممن هم خارج مكة فاتكأ على عالم الأسباب بما ينسيه التوكل كل التوكل على رب الأسباب . فالصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

هذا هو عبد الله عبد الغني بن محمد بن عبد الغني الخياط في مهده ، تحفه عناية ربه ، فهو حديث عهد بربه ، ومن حوله ارهاصات خيّرة . ففي ذلك العام ، أو قبله بعام عرفت مكة نور الكهرباء لأول مرة في تاريخها . أما أول مجلس بلدي يرعى شئونها كمدينة فقد تأسس في ذلك العام . فكانت ولادة عبد الله قد سبقها فأل حسن ولا شك .

وقبل أن يكمل عبد الله شهره الأول ، وصل أمير مكة الجديد الشريف الحسين بن علي من الآستانة بتعيين عثماني . لكنه لم يكن هو الذي أدخل الكهرباء في مكة . فقد سبقه إلى ذلك الشريف علي باشا ابن عبد الله بن محمدبن عون أمير مكة السابق على الشريف حسين . فاستورد الكهرباء ، وأضاء بها قصر الحكم بالغزة . وعندما سطع نورها الأزرق تجمع كثير من أهل مكة يتفرجون ويتعجبون لذلك النور الباهر .

وفي منزل عبدالغني خياط بالقرارة تجمع نفر من الأهل والأقارب لطعام العقيقة ، أو هذا هو المتوقع . وعندما أكمل عبدالله شهره الأول بدأت والدته تستعد لأخذه إلى الحرم الشريف .

وها هو عبدالله يبتسم في مهده ، يناجي عالمه الملائكي ، وربما يسمع من يهدهده ويناغيه :

«دوهه يادوهه ، والكعبة بنوها ، وسيدي سافر مكة ، وجاب لي زنبيل كعكة ، والكعك جوه المخزن ، والمخزن ماله مفتاح ، والمفتاح عند النجار ، والنجار يبغى فلوس ، والفلوس عند السلطان ، والسلطان يبغى الصغار ، والصغار يبغوا الحليب ، والحليب عند البقر ، والبقر يبغى الحشيش ، والحشيش فوق الجبل ، والجبل يبغى المطر ، والمطر عند ربي .. يامطره حطي حطي ..»

وفعلا تحط المطر وبغزارة في تلك الأيام ، وإلا فمن أين يأكل الناس ؟ ومن أين تأكل الأنعام التي تملأ أزقة وأسواق مكة قبل أن تعرف مكة السيارات ؟ من أين تأكل الخيل والبغال والحمير والجمال والأبقار والأغنام ؟

لقد كانت الأرض مكسوة بالخضرة ، كما ذكر الشيخ أحمد بن ابراهيم الغزاوي يرحمه الله ، بل لقد قال إن جبال مكة «تكاد تمور مورًا بالأعشاب» . ويذكر الغزاوي أنه عاصر «حدائق بهيجة لا تحصى في حي جرول وحده» .

وقال أمير البيان شكيب أرسلان في كتابه «الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف» ، وكان قد حج في عام ١٣٤٨هـ (١٩٢٧م) مايلي :

«ولقد رأيت على مقربة من مكة وادي فاطمة الممتد إلى وادي الليمون مسافة خمس عشرة ساعة ، فرأيت جنة من جنان الله في أرضه ، ولا تفضلها بقعة لا في الشام ولا في مصر ولا في العراق » .

وكان في مكة مياه وفيرة من عين زبيدة والزعفران ومن بئر زمزم . وكان هناك بئر الجعرانة العذب ماؤها ، وإن كانت بعيدة .

ولقد شرب الرضيع عبد الله خياط من ماء زمزم لأول مرة على الأرجح عندما بلغ أربعين يوماً من عمره ، حين كان الحجيج في صعيد عرفات .

وسمع عبد الله للمرة الأولى الدعاء :

اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتكريماً ومهابة وبراً ، وزد من شرفه ممن حجه أو اعتمره تشريفاً وتكريماً ...»

غير أنه ليس معلوماً متى حج عبد الله في طفولته للمرة الأولى .

ويقال أن في ماء زمزم ملوحة ، وذاقه عبد الله ، وذاق بركته ، غير أن بعض الحجاج كانوا «يشطحون» عندما يهبط الماء المبارك إلى أجوافهم ، ويقال أن أحد الأفغان رمى بنفسه في بئر زمزم ، وربما سقط عن غير قصد ، وأصبح حديث المجتمع المكيّ في ذلك العام .

وقد عجز الغواصون عن إخراج جثة غريق في بئر زمزم فجاء الشيخ خليفة بن حمد النبهاني مهندس عين زبيده والزعفران فخلع ملابسه وربط في قدميه كرتي حديد ونزل إلى قاع البئر وأخرج الجثة . ثم كشف للناس «أن عمق ماء زمزم أربعون ذراعاً ، وأن البئر تحت الأرض ينبع ماؤها من صخرة مدورة منقورة نقراً عجيباً» .

على أية حال ، أصبحت النظافة في ذلك العام الذي ولد عبد الله فيه تشرف عليها الحكومة . وقبل ذلك كان هناك «القيصر لي» وهو عثماني ، وكان ذا شخصية قوية تخيف الغشاشين في بيع الألبان واللحوم والخضروات . وكان يقوم بمهمته راكباً بغله ومعه بعض أعوانه .

وكانت أسرة عبد الله متوسطة الحال . وكانت مكة تنتج الخير مما حولها ولا تعرف المبردات أو المعلبات . وكانت بساتين مكة تزرع الجوافة

والبرتقال والليمون وجوز الهند والرطب والعنب والكادي والورد وأنواع الخضروات .

وما كانت أم القرى تعرف الأسفلت . وعندما رصف المسعى بالحجر الصوان كان ذلك حدثاً مشهوداً . فقد كانت الشوارع ضيقة والحارات كثيرة الأزقة ، مثلها مثل دمشق أو بغداد في تلك الأيام . وكان هناك زقاق في مكة أطلق عليه الظرفاء ، وهم كثيرون ، «زقاق عانقيني» لشدة ضيقه .

لكن مجتمع مكة ما كان يزيد عن مائة وعشرين ألفا ، ومعظم أهله كانوا يتعارفون ، ألا أنه كلما مضى موسم حج كلما ترك خلفه بعض الحجاج الذين كانوا يعجزون عن مفارقة المشاعر المقدسة . فالبيت الحرام جعله الله مثابة للناس وأمنا . وكل بقعة في مكة ترفل في ذكريات غالية حيث هبط الوحي آخر ما هبط على الأرض .. وهذا هو المطاف وذلك المسعى بين الصفا والمروة وهناك جبل النور (حراء) . ولازالت حلقات العلم هنا منذ عهد ابن عباس وقرنائه من خير الناس فالأرض خير أرض طلعت عليها الشمس .. وأهل مكة فيهم الخير كل الخير .

وقد روي أن رسول الله ﷺ وقف على باب الحزورة بالقرب من باب الوداع وهو يريد الهجرة من مكة فقال ﷺ «والله إنك لأحب أرض الله إليّ وإنك لأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت» .

ولقد اختار الله لعبد الله خياط أن ينتقل آباؤه من مدينة حماة بالشام إلى الحجاز في أواخر القرن الثاني عشر الهجري . فكانت مكة المكرمة مسقط رأس عبد الله لخير أراده الله به .

أما والد عبد الله ، الشيخ عبد الغني بن محمد بن عبد الغني الخياط فقد كان مثقفا ثقافة دينية على المذهب الحنفي الذي كان مذهب الدولة العثمانية وقتئذ . وكان الحجاز والشام ولايتين عثمانيتين .

وكان راوية الفقه الحنفي وقتئذ بمكة هو العلاّمة السيد محمد

المرزوقي (أبو حسين) ابن عبد الرحمن بن محجوب الحنفي المولود عام ١٢٨٤هـ .

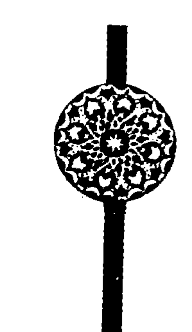
وكان الشيخ عبد الغني خياط معاصراً للسيد محمد المرزوقي .

كما كان معاصراً لمحدث الحرمين الشيخ عمر حمدان المحرسي .

وقد نال الشيخ عبد الغني خياط ثقافته في الفقه والتفسير والحديث من المسجد الحرام ، وكان الناس يسألونه بين الفينة والأخرى عن بعض أمور دينهم . وكان بينه وبين الإمام أبي حنيفة نحو سبعة وعشرين راوياً ومنه عن حماد بن زيد عن ابراهيم النخعي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ .

فهذا هو الجو الذي ولد فيه عبد الله خياط . وكان معه من الاخوة إثنان وثلاث أخوات وأكبر إخوانه محمد عبد الغني خياط .





- ٢ -
المَسْعَى

إذا كان المسجد الحرام في مفتتح القرن الرابع عشر الهجري أعظم جامعة في الدنيا لنشر علوم الكتاب والسنة ، فقد كان المسعى بين الصفا والمروة قلب مكة النابض بمن يسعى حاجاً أو معتمراً وبمن يسعى ابتغاء فضل الله في هذه الدنيا من سكان أم القرى والوافدين عليها .

فهذا رجل سمين قد زاد وزنه عن الحد فقرر أن يذهب إلى المزيّن (حمزة عيسوي) بالقرب من المروة . ويفصده حمزه لكن الدم ظل يتفجر كأنه نافورة ، فيهرب المزيّن خوفاً ، وتأتي الشرطة فتأخذ الرجل ودمه ينزف . وليس هناك نقالة ، فيمشي الرجل إلى المستشفى العسكري ، سيرا على قدميه ، ثم يشفيه الله هناك ولكن بعد شهور .

لقد كان المسعى يحوي العديد من الدكاكين والمعارض وباعة الفاكهة . وكان يعج بحركة البائعين والمشترين . وإلى جوار ناحية المروة دكاكين بيع السمن البقري والغنمي ، ثم أنواع المأكولات .

وهناك منطقة معلومة «لكلاب» المسعى حيث تسكن وتتوالد ، وكان لها خادم مخصوص يسمى «شيخ الكلاب» تدفع له الدولة العثمانية راتبه ليكفها عن أذى بيت الله الحرام .

وبعد عصر كل يوم تتحرك عربة يجرها بغل أو حمار وفوقها برميل مزود برشاش يرش مابين الصفا والمروة لتلطيف الجو وتسكين التراب والغبار بالمسعى ، وقد تمتد هذه الخدمة إلى باب الوداع والحميدية والتكية .

وكانت مساحة المسجد الحرام نحو ۳۰,۰۰۰ متر مربع .

وفي نهاية عام ١٣٢٧هـ ، وبعد أن حج خديوي مصر عباس حلمي باشا هجم سيل كبير على مكة ودخل المسجد الحرام فملأه من أقصاه إلى أقصاه حتى غطى الحجر الأسود وصار المطاف كأنه بحيرة ، وسمي السيل بسيل الخديوي .

وقد حضر أمير مكة الشريف الحسين بن علي وأعيان مكة وسكانها وأخذوا في تنظيف المسجد الحرام . واستمر العمل نصف شهر حتى تم تنظيف المسجد الحرام .

ويقال أن السلطان عبدالحميد آخر خليفة عثماني حج قبل عزله في ربيع عام ١٣٢٧هـ . ولم يعلم بهويته أحد حتى مطوفه . ولكن المجتمع المكي أخذ يتحدث فيما بعد إذ لم يستفد من حجته أحد سوى مطوفه الذي نفحه هدية سخية ما علم بمقدارها ولا بشخصية الرجل الغامض إلا بعد أن غادر جدة بالباخرة .

وبعد الحج بدأ أهل مكة كعادتهم في البصارة ، وهو ما يعني من وجهة نظر الشيخ الغزاوي ، التبصر لشئون المعاش بعد رحيل أفواج الحجاج إلى بلادهم .

لكن المسجد الحرام يبقى محجاً لطلاب العلم من أندونيسيا إلى المغرب العربي ـ ويذكر الشيخ عبدالعزيز بن عكاس كما يروي الأستاذ عمر عبدالجبار في كتابه سير وتراجم قوله «لقد أدركت عهد الدراسة بالمسجد الحرام وشاهدت زهاء سبعين حلقة تضاء باللالات» . أي قبل إدخال الكهرباء إلى المسجد الحرام . وقال أحمد السباعي في «تاريخ مكة» إن عدد الحلقات العلمية في الحرم الشريف بمكة في العهد العثماني كانت نحو (نحو مائة وعشرين حلقة) إذ أن المدارس النظامية كانت نادرة إذ ذاك .

وكان الشيخ عبدالغني خياط قد بدأ بالتفكير في إدخال ولده عبدالله

بمدرسة الخياط بالمسعى . فرغم صغر سن عبدالله إلا أنه كان يتمتع بذكاء فطري جعله يسأل أباه العديد من الأسئلة التي تدور في ذهنه الصغير فيقول له أبوه «بكره إذا دخلت المدرسة تتعلم الجواب» .

وكان عبدالله قد تنبه إلى الإطار الذي يحكم الأحياء والأشياء بالمجتمع المكي . فالليل للنوم والنهار لليقظة . وكانت الديكة تؤذن في وقت منتظم كالساعة من بيوت كثيرة عند بزوغ الفجر كل يوم . وكان بعض الصالحين كالسيد بكر أبو بكر البار يبدأون بالتهليل والكبير أثناء سيرهم بين الأزقة لصلاة الفجر بحيث يسمع من كان نائماً أن الصبح قد بدأ يتنفس .

وكما بدأ عقل عبدالله خياط ينشط من عقاله فيفكر ويسأل ، كانت نفسه تتوق وتهفو إلى القفز والركض وتسلق شجرة الداوودية الضخمة مع المتسلقين من الأطفال .

ولكن أبواه ما كانا ليسمحان له بالانتقال من حارته إلى حارة أخرى . فرغم صغر مكة وقتذاك ، إلا أنه كان يوجد نزاع بين بعض سوقة الحارات فيها .

ويذكر بعض الذين عاصروا ذلك النزاع الحدودي بين حارات مكة أن نزاعاً كهذا قد يسقط عنه جرحى من الطرفين المتشاجرين ، وكأن المرء كان يحتاج إلى تأشيرة للانتقال من حارة إلى حارة في داخل مكة أو جدة بسبب تسلط الجهل على بعض النفوس .

فلو مر طفل وسط «هوشة» من هذه الهوشات فلربما أصابه سوء ، أو ربما سمع كلمة نابية تجرح فطرته البيضاء وصفحته النقية .

وكان الولد عبدالله خياط متلهفاً لدخول المدرسة بالمسعى ، وقد بر والده بوعده فأدخله فيها ، ولكن عبدالله فوجيء بنظام صارم ضيّق عليه ماكان واسعاً . فالطلبة ملزمون بالجلوس على الأرض أمام الأستاذ دون حراك ثم تكاليف بالكتابة والتهجّي وحفظ السور القصيرة . ويتم تنفيذ

ذلك بحزم لا لين فيه . وسرعان ما بدأت الأحلام الوردية في خيال عبد الله تتبخر . فالدراسة ليس فيها حلويات ولا ألعاب مسلية بل حمل للصبي على المكاره ، وتدريب للنفس على الطاعة المطلقة ، والويل لمن أخطأ . فالأستاذ يضرب المخطيء بالفلكة وهي وسيلة من وسائل العذاب . وأحيانا يشترك طالب آخر في تعذيب زميل له . فالفلكة عصا مربوط بطرفيها خيط وتوضع العصا على ساقيّ الطالب وهو ممدود ثم يشد الخيط وترفع رجلاه دون أن يستطيع الطالب تحريكهما . وعندئذ يضربه الأستاذ ماشاء . فإذا لم تتيسر عصا للربط فإن الرجلين تربطان بإحرام يمسك طالبان بطرفيه إلى أن ينتهي الأستاذ من الضرب . وأحياناً قد تخطيء الضربة «فتقع في موقع حساس» كما يذكر عبد الله فيما بعد .

وهذا العذاب جعل عبد الله يرفع عقيرته بالصياح مطالباً بإلحاح عدم الاستمرار في المدرسة وراجياً أن يعود إلى حريته السابقة ، وأحلامه الغضة ، وهيهات .

فكما اكتشف وجود إطار للحياة يحكم بشرها وطيورها وأنعامها ، فكلها ، ماعدا بعض البشر ، تصحو فجراً ، وكلها تأوي عشية ، كذلك اكتشف أن اليوم إذا غابت شمسه فهو درهم سقط في بئر ، وقد يعود الدرهم ولا يعود اليوم الذي ولى ، ولا الساعة التي كنت فيها قبل قليل ثم انقضت وانتهت .

ورحمة الله مع ذلك واسعة فهو ﴿الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكورا﴾ .

وكان أن انتظم عبد الله في مدرسته بالمسعى رهباً ثم رغباً أو كلاهما . وفيما هو منهمك اكتشف وظيفة جديدة للمسجد الحرام . تلك هي الجنائز الداخلة والخارجة ، كمثل الأيام والليالي ، كما نودع من حياتنا نعش النهار ، ونعش الليل كل يوم وكل ليلة ، كذلك يستقبل المسجد الحرام الجنائز للصلاة على رجل ، أو امرأة أو طفل ، وخصوصاً أوقات

الصلوات . وأهل مكة بل والمسلمون من خارج مكة يرغبون في أن تكون الخاتمة بصلاة في المسجد الحرام ودفن في المعلاه أو غيرها من المقابر بمكة .

ويشاء الله أن يموت العلاّمة محمد يوسف الخياط الـذي تبنى المدرسة بالمسعى وفتحها ، شاء الله أن يموت بعيداً عن مكة .. في جاوا ، ولا طائرات تحمله ، وكرامة الميت دفنه . يرحمه الله .

لقد فتح الطلاب النابهون ، والنائمون ، عيونهم على حقيقة الموت ، وأن الانسان مهما عاش ، ومهما اغتنى ، ومهما اقتدر واستغنى ، بل مهما تعلم وعمل ماهو إلا ميت وابن ميت وأنه «ذو نسب في الهالكين عريض» . ومع هذه الحقيقة الماثلة كل صلاة تقريباً ، هناك حقيقة أخرى هي الذكر الحسن ، وخصوصاً بالنسبة لحملة العلم الشريف . فأحيانا تهتز مكة لموت عالم من علماء الأمصار إذا طلب العلم في المسجد الحرام وعاد إلى بلاده فمات ، أو حتى جاء حاجاً وعاد ثم مات . كما حدث مع الخياط الذي مات في جاوا ، أو مع العلاّمة الكفيف السيد احمد بن حسن العطاس الذي اهتز المجتمع العلمي في مكة لخبر وفاته خصوصاً وأنه أصهر إلى إحدى العائلات المكية الكريمة . وعندما جاء خبر وفاته تذكر المجتمع المكي كيف أنه يرحمه الله لما زار مصر وسمع شيخ الأزهر محمد الانبابي قراءته لسورة المرسلات وسورة الانفطار في صلاة المغرب قال «ما قرأناه في الكتب عن المتقدمين من حسن القراءة والأداء سمعناه اليوم من هذا السيد» .

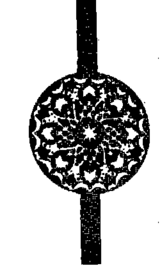
وكان السيد أحمد بن حسن العطاس يرى تمطيط الترتيل بدعة . وكانت هذه القصص وأمثالها شاهداً حافزاً على القراءة وتحسين الصوت بدون ألحان . وكان طلاب المسجد الحرام يتنافسون في ذلك ويعتزون بانتسابهم إلى الحلقات العلمية بالمسجد الحرام .

ولهذا فإن عبد الله خياط سرعان ما انتظم في حلقات المسجد الحرام دون أن يترك دراسته النظامية في المسعى .

ذلك أن حلقات العلم بالمسجد الحرام لا تمنح شهادات ، بل إجازات ، وكثير منها شفوية ، وبعضها إجازات عامة . وأفضلها إجازة معين لمعين . ولكن الاجازات فيها مزايا ليست في الشهادات فهي مبنية على تقوى الرقيب على السرائر ومشروطة بالأمانة في النقل وعدم الفتيا إلا بعد النظر وعدم كتمان العلم ، والاستمساك بالاسناد ، وهو كما قالوا كالسيف للمقاتل ، ولولاه لقال من شاء ماشاء كما هو حال الصحافة اليوم التي تملأ أنهارها بالسواد ولا تتحرز من الافتئات .

لقد درس عبد الله خياط القرآن الكريم والحساب والجغرافيا والتاريخ والاملاء والخط . ونال نصيبا موفورا من دراسة القرآن الكريم وحفظه ومن سلوك المشايخ الأعلام السالكين إلى الملك العلّام عز وجل .





- ٣ -

التحصيل

لم يكن عبدالله خياط غافلا عن اجازات المسجد الحرام فهو يذكر بالاجلال صديقه ابراهيم يوسف خان (يرحمه الله) الذي واصل نشاطه العلمي في المسجد الحرام ينهل من علومه فحاز الاجازة من الكثير من مدرسيه «وكانت الاجازة آنذاك في مستوى الشهادة العالية» كما يشهد عبدالله خياط .

وكما تختلف إجازات المسجد الحرام عن الشهادات ، فإنها أيضا تختلف عن بعضها البعض . كل اجازة كيان وبصمات وشخصية مستقلة ، تتنوع بتنوع الشيوخ وبتنوع الطلاب بل بتنوع النفسيات . نفسية الشيوخ ونفسية الطلبة . وليس هناك مكتب خاص لاصدار الاجازات الجاهزة مثل دكاكين الملابس الجاهزة . ولولا ضرورة الأمانة العلمية لحذفنا من صورة الاجازة التالية اسم طالب العلم وشيخه .

نص من نصوص الاجازات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله وكفى وبسلام على عباده الذين اصطفى

أما بعد ،

فيقول الفقير إلى ربه عمر بن حمدان المحرسي ، خادم العلم والحديث بالحرمين الشريفين : قد طلب مني الفاضل الأريب ، الحائز من العلم والأدب أوفر نصيب ، علم الدين محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني المكي أن أجيزه بما رويته عن مشايخي بالحرمين والشام ومصر ، والمغرب الأدنى ، كبني غازي والجغبوب وطرابلس ، والأوسط

كتونس والجزائر ووهران وتلمسان ، والمغرب الأقصى كفاس ومراكش وزرهون ، وعلماء شنقيط ، كالشيخ ماء العينين والشيخ محمد يحيى الوولاتي ، بعدما سمع مني الكتب الستة مع «الموطأ» وسمع «جمع الفوائد» للروداني ، ومسلسلات «حصر الشارد» و«الحديث المسلسل بالاولية» وغيرها ، بأعمالها القولية والفعلية ، وقد جمع ذلك في هذا الثبت المسمى بـ«مطمح الوجدان في أسانيد الشيخ عمر حمدان» فأجبته لمطلوبه ، وأسعفته بمرغوبه ، وأجزته اجازة عامة مطلقة تامة ، كما إني أجزت بجميع ذلك السيد محمد أمين الكتبي ، والسيد علوي المالكي ، والشيخ محمد خليل طيبه ، والشيخ صالح ادريس الكلنتني ، والشيخ صالح قطان ، والسيد أبو بكر حبشي وأولادي : محمد حمدان ومحمد مالك ، وكان ذلك يوم الجمعة في ٥ جمادى الآخرة ١٣٦٢هـ .

قاله عمر حمدان ، الله وليه ومولاه .

وكان عبدالله خياط يتجول في الحرم المكي في رمضان وهو غلام يتصنت لأئمة التراويح وكانوا كثيرين بحثاً عن أحسن الأصوات ممن يقرأ القرآن بتجويد يسر الخاطر ويشرح الصدر دون تمطيط ولا تعمق في مخارج الحروف .

وقد اجتذبه صوت الشيخ حسن عرب من بين أصوات القارئين . فانضم إلى حلقته ولازمه ملازمة الطالب للشيخ .

وليس في أيدينا توثيق عن إسناد القراءة للشيخ حسن عرب ولكن من المعروف بداهة أن مشايخ الحرم المكي آنذاك كانوا يتلقون قراءة القرآن مسندة من شيوخهم ، شيخاً عن شيخ ، جيلاً عن جيل ، حتى المصطفى

صلوات الله وسلامه عليه الذي أخذ القراءة عن جبريل عليه السلام من ربه تبارك وتعالى .

فلا يكفي اتقان القراءة والتجويد ، أو بالأصح الظن بأن فلاناً من الناس يتقن القراءة والتجويد ، بل لابد من اجازة الشيوخ في قراءة القرآن خاصة . والاستماع إلى صوت عبدالله خياط وهو يقرأ القرآن يطمئن السامع أنه يسمع قراءة موثقة مسندة عن شيوخ أخذوا عن شيوخ إلى رسول الله ﷺ .

ذلك أن من كان شيخه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه . لهذا السبب تجد الأساتذة الذين درسوا في الجامعات على أسس مناهج غربية ، لا يستطيع بعضهم قراءة القرآن دون أخطاء بل ولا آية منه قراءة صحيحة لأنهم لم يقرأوا القرآن على الشيوخ الذين تلقوه كأمانة عبر القرون وقرأوه وأقرأوا به ابتغاء وجه الله .

وشاءت عناية الله أن يكون الشيخ حسن عرب هو شيخ عبدالله خياط وأستاذه في قراءة القرآن وتحفيظه بالمدرسة الفخرية وكان عبدالله قبل ذلك قد درس في المدرسة الصولتية على مدرس هندي ، قبل ظهور باكستان ، وكان شديداً في مؤاخذة المقصرين .

كذلك كان الشيخ حسن عرب شديداً في تحفيظ القرآن الكريم . فلو ترك الفتيان وهواهم لما صبروا على مثابرة الدرس والحفظ . وكان الشيخ حسن عرب يرى أن الاهتزاز يساعد على الحفظ فألزم الطلبة بالاهتزاز يميناً وشمالاً وإلى الأمام وإلى الخلف ، والعصا تنقض على كل طالب لا يهتز أثناء القراءة .

وقد رزق الله عبدالله خياط حافظة ممتازة . وهو يروي عن نفسه أنه كان يحفظ المعادلات الغريبة دون فهمها كي يجتاز اختبارات الجبر ومادة خواص الأجسام وتقويم البلدان والجغرافيا واللغة الانجليزية .

لقد كان ميسراً للقرآن وحفظه . وكما تقول منظومة الرحبية في علم الفرائض

فاحفظ فكل حافظ إمام

حفظ القرآن الكريم في تسعة شهور . وقال عن ذلك أن حفظ القرآن ينبغي أن لا يزاحم بغيره . ودرس ألفية ابن مالك ودرس القراءات السبع على الشيخ محمد اسحاق القاري مدير المدرسة الفخرية .

لقد كان عبد الله خياط طالباً جاداً ونجيباً ، والجد في الجد والحرمان في الكسل . وقد هيأ الله له أساتذة جادين كانت بصماتهم ظاهرة عليه في مستقبل حياته العلمي والعملي .

فمن ذلك ما رأينا من حزم وشدة شيخه حسن عرب ، بل إنه كما يذكر عبدالله خياط فيما بعد «يسرف في اتخاذ الضرب وسيلة للتقدم في الحفظ» . وقال إنه يتمنى أن يكون لدينا من «أمثال الشيخ حسن عرب في حزمه وإخلاصه للواجب وشدته أيضا للقضاء على الرخاوة» . كذلك كان شيخه الهندي في الصولتية ، وكذلك أساتذته في مدرسة الخياط بالمسعى ، فقد كان الحزم والصرامة والشدة مميزات هذه المرحلة في حياة الفتى .

وعلى ما واجهه عبدالله من حزم ، فقد كانت شخصيته الجادة تمتص غضب الأساتذة . فالواضح أنه لم يكن يفرِّط في واجباته . ويبدو أن والده ووالدته كانا يتابعانه عن كثب وحرص . كما إنه هو كان «يبحث» عن ثغرات وقته لا ليملأها باللعب وتسلق شجرة الداوودية الضخمة أو بقية ألعاب الغلمان في مكة في تلك الأيام ، بل كان يملؤها ببرامج تعليمية في المسجد الحرام ، حينما كان العالم مشغولاً بالحرب العالمية الأولى . لقد كان فتى موفقاً للعلم والمثابرة على العلم . غير أن الشدة بقيت في اللا شعور عند عبدالله خياط ، فقد كان لا يرضى لنفسه بأن يهان بسبب تقصير .

وفتح عينيه على ميدان آخر من نافذة السلوك . فشيخه الأستاذ محمد اسحاق القاري مدير المدرسة الفخرية كان هو الكل في الكل فلا يجد ثغرة «إلا عالجها ولا خللاً إلا سارع إلى إيجاد الحلول له ، وكان له عناية خاصة بالنجباء والحريصين على العلم» . أما الطلبة الذين كان يشعر بضيق نفقاتهم فيخصص لهم مكافآت مالية شهرية تعينهم على الدرس والتحصيل . وهذا سلوك بقي أثره في شخصية عبدالله خياط .

وفي تلك الأيام كانت تروج بين أهالي مكة ، بل وبين غيرهم من السكان من ساحل البحر الأحمر إلى البحرين أن من أدخل ولده المدرسة فقد عرّضه للتجنيد . فكانوا يحرصون على أساتذة خصوصيين لتعليم أولادهم الخط والحساب . غير أن هذا الوهم سرعان ما تبدد بتزايد عدد المدارس الأهلية والحكومية .

وقررت الحكومة العثمانية أن تصرف مكافآت للمدرسين . ويقول الأستاذ الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان في محاضرة ألقاها في نادي مكة الأدبي الثقافي قبل ثلاث سنوات ان إعطاء الرواتب لمدرسي الحرم كان بسبب ضيق المعيشة لظروف الحرب العالمية الأولى وخشية الحكومة الهاشمية من انصراف المشايخ عن التدريس في المسجد الحرام إلى طلب المعيشة في تلك الأيام العسيرة .

وحدث تطور ثان . فقد بدأت الحكومة الهاشمية إدخال نظام جوازات السفر ، فأصبح السفر مقيداً منذ عام ١٣٣٤هـ وأدى ذلك إلى أن علماء المسلمين لم يعودوا يتمتعون بحرية الانتقال وتبليغ علومهم إلى المشارق والمغارب كما كان الحال قبل ذلك ميسرًا .

وكان هناك شيخ يسافر إلى الهند ويجلب معه كتبا ينشرها في مكة وهذه الكتب كانت تحمل أنفاسا معارضة للجو السائد في البيئة العلمية بالمسجد الحرام . وقد درس عبدالله خياط على هذا الشيخ سنن

الترمذي . وكان الشيخ هذا ، وهو أبو بكر محمد عارف خوقير الكتبي ينتقد الذين «يشدّون الرحال للأولياء ويتمسحون بالقبور ويطلبون منها جلب الخير لهم ودفع الشر عنهم» .

وكان هذا اسمه سياسة في ذلك الحين بالنسبة للحكومة ـ وما لبث الشيخ خوقير إلا يسيراً حتى دخل السجن .

وتحدث طلبة العلم بذلك فيما بينهم على ضوء المصابيح الكهربائية التي أدخلت لأول مرة بالحرم الشريف . وكان المسجد الحرام يضاء قبل ذلك بألف وأربعمائة واثنين وعشرين قنديلاً زيتياً . وتذكّر المجتمع المكي دخول أول مصباح كهربائي قبل بضعة عشرة سنة بقصر الحكم بالغزة . وأصبح ليل المسجد الحرام يرفل في أبهة الكهرباء ، ولكن حرية الفكر وحرية العلم بدأت في الانتقاض ، وأصبح الظلام يزحف باعتلال حرية الفكر وتقييد حرية الانتقال من غصن إلى غصن ، مهماكانت الأقفاص ذهبية ، ولنظير هذا السبب وأشباهه لعن الإمام محمد عبده بمصر السياسة واشتقاقاتها وشقشقاتها .

واستفاد عبدالله خياط من مكتبة جارهم الأستاذ محمد صادق كردي . فقد كان عنده مكتبة عظيمة وكان يسمح لعبدالله ، ولغيره ، ببشاشة ولطف أن يستفيدوا من مكتبته . وكان هذا الشباك العلمي بجوار الدار يسمح لعبدالله بالإطلالة على عالم الثقافة الواسع ويضيف إلى عقل عبدالله المزيد من الدرر والجواهر . فهذه المدارك التي وضعها الله في أدمغتنا تنمو وتصقل بالأنوار وفتح الشبابيك على مصراعيها . وقد تيسر لعبدالله كل ذلك بفضل الله ثم بجهده واجتهاد والديه .

ودرس عبدالله الخط في المدرسة الفخرية ، ولكنه أيضا انتظم في حلقة الاستاذ محمد حلمي بالمسجد الحرام لتحسين الخط .

ودرس الحديث النبوي فقرأ سنن أبي داود في حلقة متواضعة بالمسجد الحرام مع نحو عشرين طالباً على الشيخ عبدالرحمن أبو حجر

أحد علماء الأزهر . وكان الشيخ المحدث مظهر حسين (والد الشيخ عبد الرحمن مظهر شيخ مطوفي الهند) قد فتح داره لطلبة الحديث فانتظم عبد الله خياط في سلك الدارسين .

ودرس أيضا على فضيلة الشيخ عبد الظاهر محمد أبو السمح خطيب وإمام المسجد الحرام والمدرس فيه ومدير مدرسة دار الحديث ، بمكة . وكان شيخاً بكاءً - يرحمه الله ، وهناك تقارب في نغمة الترتيل بين قراءة عبد الله خياط والشيخ عبد الظاهر .

ولقد فتح عبد الله عينيه مرة ثانية على ميدان السلوك والأدب . فهذا الشيخ كان يدعو عبد الله إلى الرفق واللطف ولا يفتأ يذكره بحديث رسول الهدى ﷺ «سدِّدوا وقاربوا» وكان الشيخ أبو السمح يركز على الدعوة الحكيمة والابتعاد عن الشدة . وبذلك اكتسب عبد الله «التوازن» بحيث لا يبقى «اللا شعور» عنده معبأ بشدة شيوخه في الدراسة المبكرة ، ولا يتورط أيضا في الميوعة والضعف والرخاوة التي يكرهها شيخه حسن عرب وأمثاله .

وكذلك كانت تربية السلف تعتمد «التوازن» سبيلاً بالقدوة والتوجيه والسلوك واعطاء الكتب ، فمن رأوا فيه اللين أعطوه من الكتب ما يشده . ومن رأوا فيه الحدة أعطوه من الكتب ما يحثه على الرفق .

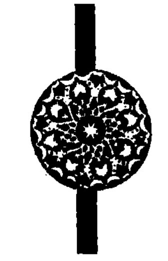
ويذكر عبد الله عن الشيخ أبي السمح أنه كان ذا موهبة في الخطابة والالقاء البارع المؤثر وفي تلاوة القرآن وفي تدريس العقيدة ، بالاضافة إلى صوته الجهوري الذي كان يبلغ وزارة المالية بأجياد بل أبعد من ذلك ، قبل مكبرات الصوت .

قال عبد الله خياط عن أمثال هؤلاء المشايخ «أولئك أبناء مدرسة النبوة خريجوا المساجد ، فأين منهم أبناء الجامعات في أعقاب الزمن وخريجوا الفلسفات ممن ملأوا الدنيا صخباً بمؤهلاتهم وتعالوا على الناس بانتسابهم إلى جامعات الغرب» .

وقـال الشاعـر الشعبي منددا بضعف المنـاهج التعليميـة ومدرسيها :

تعليم ذا الوقت من حصَّل مفتِّح أعوره





- ٤ -

إتجاه

حمل عبد الله خياط نعش أبيه عبد الغني خياط على كتفه عام ١٣٤٣هـ بعين دامعة ووجه أحمر حزين فقد مات جزء من نفسه بل مات سبب وجوده في هذه الدنيا ، قبل أن يبلغ عبد الله أشده . ولكنه قد بلغ السابعة عشر من عمره ، وبموت والده بلغ عبد الله سن الرشد حقيقة إذ أصبح ينظر إلى الحياة بمنظار المسؤولية بعد أن توفي ولي أمره يرحمه الله .

لكن الحزن لا يدوم . فلو كان يدوم لما عمّرت الدنيا . وقد كان أخوه محمد عبد الغني خياط في مقام الأب من ناحية ، ومن ناحية أخرى بدأ عبد الله يؤسس سمعته العاطرة في المسجد الحرام كقارىء مجيد للقرآن الكريم وبدأت شعبيته ترتفع ، بالتعبير الحديث .

لقد كان حفظ القرآن وتجويده أكبر نعمة فاز بها الفتى عبد الله خياط في حياة والده ، وبدأ شيوخه يطلبون منه أن يعمل مدرساً يساعدهم في حمل بعض الأعباء عنهم مقابل دراهم معدودة .

هذه الظروف امتصّت صدمة وفاة الوالد عبد الغني يرحمه الله فصرف عبد الله جهده وجهاده للبر بأمه طيلة حياتها .

ورزقه الله مصاحبة السيد أحمد علي أسد الله رفيقه وزميله وصديقه الحميم ، وهو مكمل لشخصية الشيخ كما أن الشيخ عبد الله مكمل للسيد أحمد علي . وإذا كان الشيخ عبد الله قد تميز بحفظ كتاب الله ، فإن السيد أحمد علي قد ركز على المواد العلمية واللغات ومنها الانجليزية والفارسية .

ويذكر أحمد علي أن كتب الحنابلة لم تكن متوفرة في المسجد الحرام بصورة واسعة إلا أنها موجودة عند أهلها في محلة الشعب والجودرية .

وكانت كتب شيخ الاسلام ابن تيمية محظورة وممنوع بيعها ، وكذلك بقية الكتب التي تسير في نفس الاتجاه حتى عام ١٣٤٣هـ .

وكانت دراسة العقائد بالمسجد الحرام تركز على متن السنوسية ، وهو رسالة ألفها الشريف محمد بن يوسف السنوسي وقد درسها الشيخ عبدالله خياط ووصفها بأنها «على طريقة علم الكلام ومصطلحاته ومحاولة إثبات وجود الله جل جلاله عن طريق العقل» .

ثم دخل الملك عبدالعزيز آل سعود الحجاز وأصبح الحرمان الشريفان تحت حكمه وانتهى حكم الشريف الحسين بن علي وابنه علي بن الحسين ، يرحم الله أموات المسلمين جميعاً .

وكانت المدرسة الراقية بمكة هي أعلى المدارس النظامية وكان أساتذتها قد أخذوا دروسهم من المسجد الحرام الذي كان بالنسبة للعلوم الشرعية بمثابة الروح من الجسد .

مثلاً كان من أساتذة المدرسة الراقية الشيخ أحمد زهر الليالي الذي درس على السيد عبدالله حمدوه مدير مدرسة الفلاح بمكة . وكان السيد عبدالله حمدوه وهو من أشراف دنقلة بالسودان قد تتلمذ على فضيلة الشيخ السيد أحمد بن حامد التيجي . وقد أخذ السيد التيجي قراءة القرآن الكريم كاملة بالتجويد والتحرير بسنده عن حفص عن عاصم بن أبي النجود إلى النبي ﷺ . ولولا الرغبة في الاختصار لأوردنا السند كاملاً إلى المصطفى ﷺ .

ويقول د . أسامة عبدالله عبدالغني خياط رئيس قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى أن أباه الشيخ عبدالله خياط يقرأ برواية حفص عن عاصم .

وكان عبدالله خياط يدرس الثانوية في المدرسة الراقية بجبل هندي عندما انقلبت الأوضاع العامة بدخول قوات عبدالعزيز آل سعود إلى الطائف ثم مكة عام ١٣٤٣ هـ .

وتم الافراج عن شيخه العالم السلفي أبي بكر خوقير .

وأصبحت كتب الإمامين ابن تيمية وابن عبدالـوهاب منتشرة في الحجاز . وقد نشرت تفاصيل الدراسة في كتاب مخدوم وقيم بعنوان «الملك عبدالعزيز والتعليم» تأليف د . عبدالله سعيد أبو راس وبدر الدين الديب يوضح مدى اهتمام الملك عبدالعزيز يرحمه الله بالتعليم والعلم .

وكان عبدالله خياط قد اشتهر وأصبح شيخاً في قراءة القرآن لتجويده وجمال ترتيله رغم صغر سنه .

وفي المرحلة الجديدة أخذ يستزيد من شتى تخصصات العلم الشرعي من توحيد وتفسير وحديث وفقـه . وكان من أبـرز شيوخـه الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ وأئمة المسجد الحرام عبد الظاهر أبو السمح ومحمد عبدالرزاق حمزة . كما كان من شيـوخه سلمـان الحمدان ومحمد بن ابراهيم الشاوي وهما من علماء نجد البارزين الذين جاءوا إلى الحجاز . كما تتلمذ على الشيخ محمد حامد الفقي رئيس جماعة أنصار السنة بالقاهرة والشيخ تقي الدين الهلالي من المغرب والشيخ بهجت البيطار من سوريا والشيخ عبيدالله السندي الديوبندي الذى كان ذا لكنة هندية . وكل هؤلاء علماء سلفيون .

وكان الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة بالحجاز قد درس الشيخ عبدالله خياط الذي نشر مقالاً في جريدة عكاظ بتاريخ ١٢ / ٧ / ١٤٠٥هـ يلقي الضوء على تأثيره عليه ، نقتطف منه ما يلي :

«كان سماحته يمضي في إيضاح توحيد الأسمـاء والصفات وأن الواجب إثباتها كما وردت دون تعطيل أو تمثيل أو تكييف ...

«كم كانت سعادتي بالأخذ عن سليل الدعاة إلى الله عـلى هدى وبصير ، يرحم الله سماحته . وإلى جانب دروس العقيدة وكتبها ، دروس في الفقه الحنبلي والحديث النبوي . كنت أحضر فيها مجالسه ، فكان لي من هذا الاستماع حظ وافر في تنمية الحصيلة العلمية ..

«أما التواضع فحدث عنه بكل ما أوتيت من بيان وانطلاقة . فلقد كان يرحمه الله موطأ الأكناف . لم يكن من الطراز الذي يعتز بعلمه ويزهو به أو بنسبه . فقد كان سليل الإمام محمد بن عبد الوهاب ، أو بمنصبه كرئيس للقضاء والمدرسين ، بل كان لـيِّن الجانب هـاشاً لا تسـأم مجالسته . إنه يتمتع بأخلاق العلماء الذين رفع الله من شأنهم وإنني أكتب هذا واقعاً عشته مع سماحته لا حديثا مرويا» .

ثم يمضي الشيخ عبد الله خياط فيذكر أنه حضر أكثر من مرة مجالس يقدم فيها إلى رئيس القضاة من يتهم في عقيدته من غير السعوديين ، وبعد التحري والتأكد يخاطب مدير الأمن العام في سجنه حتى يستصدر أمراً بمغادرته البلاد ، «وإذا كان من المملكة وجحد ما نسب إليه يبعث معه أحد أتباعه ليوقفه في الملتزم يقسم ببراءته» .

إلى أن يقول «كان خير رقيب على المدرسين يغشى حلقاتهم ويستمع لتقريراتهم خاصة في العقيدة وعلوم الدين» .

ثم يذكر «ان كل مدرس كان ملزماً بالحصول على إذن من سماحة الشيخ عبد الله آل الشيخ وبعد التأكد من صدق عقيدته» .. أ . هـ

غير أن أعظم ما تحقق في العهد السعودي الزاهر هو توحيد الصلاة في الحرم . فقد كانت الصلوات تصلّى أربع مرات فيما عدا المغرب لضيق وقته . وتلك لعمري كانت بدعة حقيقية . بل أحيانا تصلى الصلوات خمس مرات مراعاة للمذاهب الأربعة والمذهب الزيدي .

واستمرت دروس المسجد الحـرام ، ما دامت متقيـدة بالشروط النظامية ، واستمر المسجد الحرام نبراساً للعلم الشريف وحلقاتـه المباركة طيلة عهد الملك الراحل عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه . ولكن الناس في السنوات الأخيرة انشغلوا بالدنيا وزخارفها وبالمادة فضعف التدريس في المسجد الحرام .

وبعد أن هدأت الحساسيات تبين للناس أن الوهابية ليست مذهباً خامساً ، وإنها كما قال أئمة الدعوة السلفية تتبع الإمام أحمد بن حنبل يرحمه الله ، وإنها تعترف بمذاهب المسلمين الأخرى ، وإنها لا تطلب من الناس سوى الابتعاد عن البدع ، فهدمت القباب ، وعما يجرح العقيدة . كما كانت تركز على الدليل بدلاً من نقل أقوال الفقها مجردة من دلائلها من الكتاب والسنة .

ولقد كتب الشيخ عبد الله خياط رسالة بعنوان (اعتقاد السلف) خرّج أحاديثها ولده الدكتور أسامة خياط وقد رصّع غلاف الرسالة بقوله تعالى :

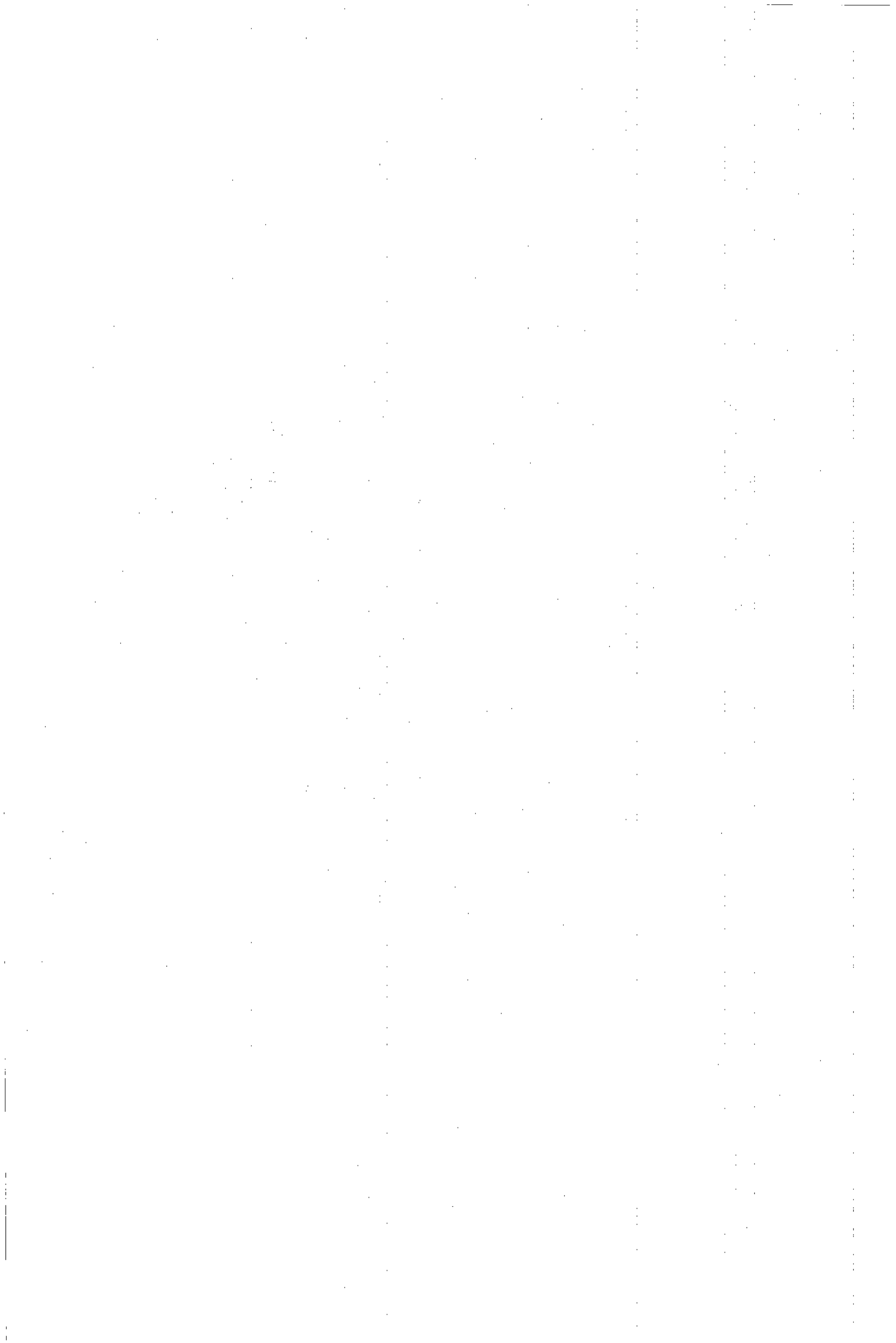
﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ...﴾ وتتمة الآية ﴿ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم﴾ .

وقد قرر الشيخ عبد الله خياط فى الرسالة :

(عدم جواز تكفير أحد من أهل القبلة بذنب وأيد ذلك بآيات من كتاب الله وحديث أنس عن رسول الله ﷺ «ثلاثة من أصل الإيمان : الكف عمن قال لا إله إلا الله ولا نكفّر ، ولا نخرجه من الإسلام بعمل ...» أخرجه أبو داود) .

والمسلمون جميعا يسعهم قول رسول الله ﷺ «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» أو كما قال ﷺ .





- ٥ -

مَشيخة

الله مالك الملك ، كل يوم هو في شأن ، ومن شئونه سبحانه أن يحل الشباب مكان الشيوخ في أماكن معينة وأوقات معينة وخصائص معينة ، وقد شاء الله أن يولد عبد الله خياط في مكة في العام الذي أراده سبحانه ، ووفقه لحفظ القرآن ، لا للعب الورق أو التمثيل ، ثم وجد الشاب نفسه مكان شيوخ أمام الشباب والشيوخ يصلي بالناس إماماً بالحرم المكي وهو لم يبلغ أشده .

حقا لقد علمك ربك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما .

قال أحد العلماء إن الإنسان يبلغ أشده عندما يبلغ الثانية والعشرين من عمره .

ففي عام ١٣٤٥هـ رشّح الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ شيخنا عبد الله عبد الغني خياط إماماً لصلاة العشاء بالمسجد الحرام ، ثم صلى الشيخ خياط بالناس في العشر الأخيرة من رمضان قبل أن يكمل التاسعة عشر من عمره .

ومع الأيام توثقت الصلة بين الشيخ آل الشيخ والشيخ خياط الذي كان يسير إلى الداوودية ليدرس العلم بعد العصر وبعد المغرب في دار الشيخ آل الشيخ .

ولعل أبواب السماء كانت مشرعة حين كان عبد الغني خياط يدعو لابنه بالتوفيق والخير :

﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾ .

وفي فترة الصيف كان الشيخ خياط يدرس على شيخه آل الشيخ على سطح المسجد الحرام ليلاً حيث يتم الامرار على شروح في الحديث والتفسير والعقيدة .

وكان أهل الحجاز بعامة يستنكفون عن الأخذ عن النجديين **لتفاضل المكانين** ولأن نجداً كانت بادية ، ويروي الشيخ حمد الجاسر قصة طريقة بينه وبين الأستاذ عبدالله عريف عندما حاول الشيخ حمد أن يوجه العريف إلى أن النية للصلاة محلها القلب ، فقال له العريف يرحمه الله : أنت البدوي الذي «..........» تريد أن تعلمني الصلاة !.

لكن نجداً كانت في تلك الأيام تعيش نهضة علمية إسلامية مزدهرة . وقد درس الشيخ عبدالله آل الشيخ يرحمه الله على أفضل علماء نجد ، ومنهم الشيخ أحمد بن ابراهيم بن عيسى السديري النجدي ، وهذا يروي عن شيخه محمدبن سليمان حسب الله المكي والمدرس بالمسجد الحرام . ودرس الشيخ عبدالله آل الشيخ على الشيخ سعد بن حمد بن عتيق ، وهذا يروي عن شيوخه ومنهم الشيخ عبدالله الزواوي مفتي الشافعية بمكة المكرمة المتوفي بالطائف والشيخ أحمد أبي الخير الخطيب والإمام بالمسجد الحرام بمكة ، والشيخ شعيب الدكالي المغربي وهو شيخ جليل .

فما يأخذه الشيخ عبدالله خياط عن الشيخ آل الشيخ هو علوم المسجد الحرام بصورة غير مباشرة فالمسجد الحرام قبلة المسلمين هو بمثابة الروح لجسد العلم الشريف .

وهذا الاستطراد هو لإيضاح الشئون التي يملكها مالك الملك سبحانه فقد حفظ الله هذا العلم الشريف حلقة حلقة ، جيلاً بعد جيل من عهد رسول الله ﷺ إلى العهد الذي نؤرخ له ، ونحن مسؤولون عن استمرارية إيصال الأمانة التي تلقيناها من الأسلاف إلى الأجيال القادمة .

ونثبت بذكر هذه الشئون أن الشيخ عبدالله خياط تلقى علومه عن مشايخ على هذه الطريقة ومرجعهم جميعاً حلقات العلم بالمسجد الحرام . والعلم لا يعترف بالجنسية أو العنصرية ، وإن كان هذا العلم الشريف يستلزم فهم اللغة العربية بطبيعة الحال . فالعنصرية مناقضة لعقيدة الاخوة الإيمانية التي جمعت البخاري وأبا حنيفة الفارسي والشافعي القرشي في بوتقة واحدة كما جمعت أبا بكر وبلالاً وصهيباً من قبل .

وفي ٢٣/٣/١٣٤٦هـ تم تعيين الشيخ عبدالله خياط إماماً لمسجد الدندراوي بمكة المكرمة .

وتلقى أمراً ملكياً في عام ١٣٤٦هـ ليكون إماماً للمسجد الحرام بالاشتراك مع فضيلة الشيخ عبدالظاهر أبي السمح الذي استقدم مع بعض المشايخ السلفيين من مصر .

يد القدرة هي التي تحرك الأمور تقول للشيء كن فيكون .

وتذكر عبدالله قول صاحب الرحبية :

فاحفظ فكل حافظ إمام

وتذكر بركة القرآن الكريم وقول رسول الله ﷺ من حفظ القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحي إليه .

وكان الشيخ عبدالله يحفظ حفظاً متقناً ، ويتعاهد حفظه لكتاب الله بمداومة تلاوته . وكان صوته يحرك أوتار القلوب بترتيل جميل يشجي الصدور .

وشاء الله أن يأتي كل ذلك بعد أن توصلت البشرية إلى اختراع التسجيل ، فأنت تستطيع أن تحصل على أشرطة القرآن الكريم مسجلاً بصوت عبدالله خياط عن شيخه حسن عرب يرحمه الله ، بينما لا تستطيع أن تحصل على تسجيل القرآن بصوت حسن عرب نفسه . هذه مشيئة من كل يوم هو في شأن سبحانه الذي وضع فلاناً مكان فلان في

المكان الفلاني والزمان الفلاني بالخصائص الفلانيـة ، ومنها حفظ الصوت حتى بعد الموت أو الفوت .

وعمل عبدالله مدرساً للقرآن الكريم بالمدرسة الفخرية براتب قدره عشرة ريالات ، وهو راتب ماكان منتظماً لضعف إيرادات المـدرسة الفخرية ، على أن مديرها يرحمه الله كان يلاحظ الطلبة المحتاجين ، ولعل عبدالله خياط كان أحدهم عندما كان طالباً فيها ، والله أعلم .

وفتح المعهد العلمي السعودي .

ونصحه شيخه ، أو بالأحرى أحد شيوخه ، وهو الشيخ محمد حامد الفقي بقوله :

«يا عبدالله إن الزمان قد تغيَّر عن الماضي ، وأن قيمة المتعلم والمثقف بين المجموع هي الشهادة التي يحصل عليها» .

وكانت الشهادات قد أصبحت ذات خطر منذ تلك الأيام ، بحيث لم يعد للإنسان كبير قيمة إلا إذا كان ذا شهادة عالية ، وأصبح المرء عبارة عن كومة من الأوراق بدءًا من شهادة الميلاد إلى جواز السفر إلى الشهادة الجامعية . ويحكي لي من أثق به أن الشيخ محمد الغزالي قال ذات مرة «إن الإمام أحمد بن حنبل لو جاء إلى إحدى الجامعات العربية لما قبلته فيها دون شهادة التوجيهية» فيالها من مشكلة فقد مضت أيام الاجازات . سقى الله أيامها في حلقات العلم .

وقال الشيخ محمد حامد الفقي مخاطباً الشيخ عبدالله :

ـ إنك قد لا تزيد كثيراً من الدراسة في المعهد ، خاصة في العلوم الشرعية ، لكنك ستستفيد من علوم الحياة التي يستبق الناس في هذا الزمان ميادينها .

وكان اسم المعهد غريباً في ذلك الزمن . فكان أكثر من واحد من العامة ينتقد هذه التسمية ويقول : ايش هادا الاسم اللي جابوا لنا من تحت الأرض ؟ ما يقولوا مدرسة وبس» .

وانتظم عبدالله في المعهد العلمي السعودي ، وكان متفوقاً ، وقد ساعده رفيق دربه السيد أحمد علي على دروس الجبر والكيمياء واللغة الانجليزية .

وكان المعهد كالجامعة في مستواه ، ولكن الشيخ عبد الله كان بلا ريب في مستوى أعلى وهو في هذه السن . لقد كان رأسماله وقته ، وقد استثمره أفضل استثمار بدلاً من تبذيره في توافه الأمور وسفاسفها . وحين حصل على شهادة المعهد فرح بها كثيرا ، ولكنه للحقيقة ماكان مغروراً بالشهادات .

لقد كتب مقالاً ينعي على الذين يستخدمون هذه الشهادات للحصول على الرتبة والراتب ، ولحمل المؤهل الذي يوصل إلى هذه الغاية «ثم لا شيء بعد ذلك» ويقول :

«إن في طلبة العلم من يسف بعلمه ، ويتخذ منه أداة للتخييل وقلب الحق والتلاعب بالنصوص والمفاهيم فيبيح للناس الفوائد البنكية الربوية ويسقط الزكاة في عروض التجارة أو يبيح أمراً أجمع خيار الأمة في عصور الهداية على تحريمه .

ويذكر الأستاذ مصطفى عطار أن نائب الملك زار المعهد العلمي السعودي وكان الشيخ عبد الله خياط طالباً فيه بين عامي ٤٧ ـ ١٣٤٩هـ فسأل المدرس الشيخ عبدالله السؤال التالي :

لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلمة يصف بها واقع العرب وسلاسة قيادتهم وما يجب على القائد أن يسلكه معه فما هي تلك الكلمة ؟

فأجاب الشيخ عبدالله :

«[إنما مثل العرب كمثل جمل أَنِف فلينظر قائده كيف يقوده] وهي مأخوذة من الحديث النبوي الشريف [مثل المؤمن كالجمل الأنف إن قِيدَ انقاد وإن أُنيخ على صخرة استناخ] أي فهو ذلول منقاد لقائده . فعلى

القائد أن يرتاد له المرتع الخصيب ويقوده إليه والموطن المذلل لئلا يكرثه ويشق عليه .. وتلك هي السياسة الحكيمة التي يسلس بها قياد العرب وتسكن إليها نفوسهم فتعطي السمع والطاعة دون إكراه» .

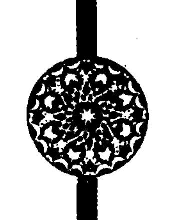
يقول راوي القصة فأعجب سموه لهذه الاجابة وصفّق لها استحسانا .

ومع ذلك فإن حلو الحياة ممزوج بمرها . فقد حزن الشيخ عبدالله خياط لنبأ وفاة أستاذه السلفي أبو بكر خوقير عام ١٣٤٩هـ . وكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام - المحيي المميت المعز المذل .. مالك الملك .. كل يوم هو في شأن سبحانه .

وما الدهر إلا هكذا فاصطبر له
رزيّة مالٍ أو فراق حبيب

وقد فارق الناسُ الأحبةَ قبلنا
وأعيا دواءُ الموت كل طبيب





- ٦ -

معروف

أرسل النائب العام لجلالة الملك الأمير فيصل بن عبدالعزيز أمراً يقضي بأن يعمل الشيخ عبد الله خياط عضواً بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اعتباراً من ١٣٤٧/١/٢٠هـ ، مما هيّأ للشاب الشيخ أن يعول نفسه وأهله بنفسه في هذه السن ، وأن يبدأ نجمه في الصعود .

وأخذت الأحلام الوردية تداعب خياله . بل تحركت الهواجس في صدره . أهي الدنيا تحاول أن تصيده ؟ ولابد له من اقتحامها . ولم يترك المعهد العلمي بل تفوق وتألق ، واستمر في الإمامة بالمسجد الحرام مساعداً للأئمة الكبار ، وخصوصاً في رمضان .

وكانت هذه الوظيفة الجديدة تجربة أولى في مضمار الحياة العملية لأن ما تولاه من أعمال لم يكن يختلف عن الدراسة القرآنية فهو في الحرم يدرُس وهو في مسجد الدندراوي يؤم المصلين . أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو أول وظيفة عملية تتجلى فيها قدراته وتصقل يها شخصيته ويكسب فيها راتباً شهرياً .

وفي هذا العمل كان الشيخ عبدالله يدرك حدوده . فلا يجوز له الانزلاق اى درجات التجسس ، وقصة عمر بن الخطاب ، الخليفة الراشد ، عندما تسلق على قوم بيتهم ماثلة للعيان في تأديب من يتطلع على معايب الناس . وقد كتب الشيخ عبدالله مقالاً ذكر فيه بحديث شريف يقول «يامعشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيِّروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ويفضحه ولو في جوف رحله» أي بيته .

وذكر الشيخ عبد الله في مقال له منشور في كتابه «تأملات» ما نص عليه العلماء في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقالوا :

لا يجوز له أي المحتسب أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الأوتار ولا أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر ، ولا أن يتحسس ثوب المتهم ليعرف شكل المزمار ولا أن يستخبر من جيرانه ليخبروه بما في دار جارهم من المنكر .

ومع ذلك فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما الحصن الحصين للحفاظ على الدين والخلق المتين ، وإقامة هذا الحصن عامل من عوامل النصر ، كما يوجه الشيخ عبد الله في إحدى خطبه بالمسجد الحرام ، لأنه يحفظ الأمة من التدهور إلى المعاصي ، فإذا ترفعت الأمة عن المعاصي رفع الله شأنها وكان في معيتها وأيدها بروح منه ، كما قال تعالى ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ .

واجتمع الشيخ عبد الله مع مدير المعهد العلمي وصديقه السيد أحمد علي وقرروا إصدار مجلة عن المعهد ، شريطة أن لا تنشر المجلة مواضيع سياسية أو تتدخل في السياسة . ورفعوا إلى الجهات المسئولة طلب ترخيص إصدار المجلة . ولكن لم يصلهم رد ، ونسي الموضوع .

وما كانت الحالة المادية للشيخ عبد الله ذات شأن . إذ أنه يذكر بالخير فضيلة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة ، إمام الحرم المكي ، الذي ما أن تقدم له الشيخ عبد الله طالباً يد ابنته حتى رحب ويسر مطالب الزواج .

وهكذا تزوج الشيخ عبد الله في عام ١٣٥١هـ .

وكان قد عمل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولما تعارض دوامه بالمعهد مع عمله نقل إلى مراقب لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بإدارة البرق والبريد بمكة المكرمة ، وبذلك استمر في عمله وفي المعهد حتى تخرج منه في عام ١٣٥٠هـ .

ورشحه الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ المشرف على التعليم بمكة ليكون مديراً لمدرسة حارة الباب (الفيصلية فيما بعد) ، وفعلاً تسلم عمله الجديد في ١٢/٢/١٣٥٢هـ .

وزاره شيخه حسن عرب وهو في منصبه الجديد ففرح وهنأه وقال له : هذه بركة القرآن يابني .

وبعد أن أصبح عبدالله خياط شخصية مرموقة في المجتمع المكي بأم القرى العاصمة المقدسة للمملكة العربية السعودية ، وشيخاً من مشايخ الحرم المكي وقع له مالم يخطر ببال .

لقد فوجيء حضرة المدير الشيخ عبدالله خياط بشرطي يدخل إليه في المدرسة الفيصلية ويقوده إلى مقر الشرطة .

ولا تسل عن شعوره يومئذ . لقد كانت الفلكة وهي تلسع قدميه الصغيرتين في مدرسة الخياط بالمسعى أهون من ذلك الموقف وهو يسير مطأطىء الرأس كالجاني إلى جوار الشرطي ، والناس تتبعه بعيونها وهي تتمتم «أخذوا المدير إلى الشرطة» .

وسأله مدير الشرطة :

ـ انت عبدالله خياط ؟

ـ نعم .

ـ إن المجلة التي طلبتم إصدارها باسم المعهد لم توافق عليها النيابة .

لم يرد الشيخ عبدالله ، بل استدار إلى الخلف وأعطاه ظهره «احتقارا لعجرفته وصلفه» ، بتعبيره .

لقد نام طلب إصدار المجلة سنوات ، وفجأة ظهر على هذه الشاكلة .

ومع أن الناس قد أصبحوا فعلاً في عصر الأوراق ، إلا أن الشرطة رفضت السماح لزبدة المثقفين بالمجتمع المكي إصدار مجلة غير سياسية . لذلك لم ينس الشيخ عبدالله خياط هذا الموقف وسجله في مذكراته .

وقال الشيخ عبدالله «الكبر على المتكبرين عبادة» كما جاء في الأثر .

ولما تزوج الشيخ عبدالله توثقت صلته الحميمة بشيخه وعمه محمد عبدالرزاق حمزة فأصبح يطلب العلم عنده ، إذ أن طلب العلم يزيد في قدر الإنسان ، حتى وإن كان «حضرة المدير» .

فقد قرأ على الشيخ محمد جزءًا من كتاب مشكاة المصابيح ثم مختصر سنن الترمذي وصحيح البخاري ، وكتب السنن .

واستمع منه إلى تفسير مبسط للقرآن الكريم ، ولا نعلم إن كان ذلك من مؤلفات الشيخ محمد أم أنه في صدره فقط .

وقال الشيخ عبدالله إنه درس عليه في المعهد العلمي كتاب التوحيد وشرحه فتح المجيد وكتاب سبل السلام شرح بلوغ المرام .

والعجيب أن الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة كان ماهراً في تدريس الرياضيات وله اهتمام بالغ بعلم الفلك إلى درجة أنه جلب جهازاً خاصاً لكي يوضع على جبل أبي قبيس أو غيره من جبال مكة لاثبات رؤية الهلال .

وقال الشيخ عبدالله عن علاقته بالشيخ محمد «وكان ذلك أعظم كسب إذ كنت أجد عند فضيلته على الدوام لقرب الصلة التوجيه السديد الرشيد لرفع المنظار الأسود ولأنظر إلى الحياة نظرة المتفائل» .

وما كانت الحياة لتمضي رتيبة ، بل كانت التطورات على قدم وساق . وكان هناك تيار غال يرفض السيارة أو المذياع واللاسلكي وقد تم إقناعه بأن الاختراعات العصرية بما في ذلك الكهرباء لا تتعارض مع التعاليم الإسلامية . وكان الأمر في مكة لا يحتاج إلى عناء ولكن العناء كان في البادية . إذ كانت مكة هي العاصمة وهي الحضارة .

وكان الشيخ عبدالله يحج كل عام تقريباً .

ثم جاءت رحلة الطائف . وقد سجلها الشيخ عبد الله في كتابه «لمحات من الماضي» المنشور على شكل مقالات بجريدة المدينة والذي لم يطبع بعد . وقد تمت الرحلة عام ١٣٥٥هـ .

قال :

«كان أشق الأمور على صاحب اللمحات الانتقال إلى الطائف في فترة الصيف . أولاً لأن الأجور كانت مرتفعة ، وإن كانت لا تعدو المئات من الريالات . غير أن هذه القلة كانت بعيدة المنال بالنسبة لمن استأجر بيتاً في أول العام في مكة .

ثانياً : عدم انتظام صرف الرواتب آنذاك مما يترتب عليه الاستدانة . وصاحب اللمحات في الطائف غريب ولا يجد من يسعفه لو اضطر إلى الاستدانة لسد العجز . غير أن مدير المعارف يرحمه الله ذلّل عقبة الراتب وتعهد أو وعد وعداً محترماً بأنه سوف يبعث لصاحب اللمحات راتبه على الموازنة الجديدة التي لم تصدر بعد . وكان مقدار الراتب على هذه الموازنة ستين ريالا ، «أي ثلاثة جنيهات انجليزية ذهبية» كانت تصل تباعاً على رأس كل شهر . فاستأجر منها داراً متواضعة في حي اليمانية بخمسين ريالاً واقتصد أيضا أجرة الدار في مكة للعام القادم أي عام ١٣٥٦هـ» .

وبعد انتهاء المهمة في الطائف واستتباب النظام المدرسي وحفظ هيبة المدرسة بمديرها القوي الأمين أرسل مدير المعارف إلى الشيخ عبد الله مايلي :

(الأستاذ عبد الله خياط ـ بعد التحية .. لا داعي لبقائكم بمدرسة الطائف بعد الآن) .

ويعلق الشيخ عبد الله على ذلك في اللمحات بقوله : أهكذا يكون تقدير المخلصين بل المتفانين في الإخلاص والتضحية .. إن الكلمة الطيبة صدقة كما جاء في الحديث النبوي الشريف .. فهلا تصدقت مديرية

المعارف على موظفها المخلص بكلمة شكر تحفظ في سجل أعماله واضبارة خدمته إذ لم يتقاض طوال مدة إقامته في مدرسة الطائف غير راتبه المتقرر له في مكة ـ لم يتقاض بدل انتداب ، أو حتى مكافأة مقطوعة ولا أجرة السيارة التي انتقل فيها إلى الطائف ذاهباً ، ومنه عائداً ، ولعل ذلك من ضعف إمكانات مديرية المعارف .

ثم يقول : بعدما لاقى صاحب اللمحات من جهود لجهده ونكران لتضحياته استسلم للأمر الواقع وعاد إلى مكة وفي نفسه ما الله به عليم من الحسرة والأسى على زمن مضى .

عاد وهو يتمثل بقول الشاعر :

نصحت فلم أفلح وغشوا فأفلحوا

وبقول الآخر :

إن كان منزلتي في الحب عندكمو

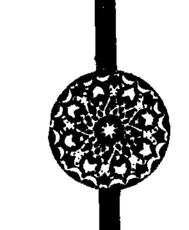
ماقد لقيت فقد ضيعت أيامي

ويقول المثل العامي أو الحكمة لا أدري :

«كأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا» .

بل قد استفاد الشيخ عبد الله خياط تجربة جديدة تزيد في عقله وفكره ومعارف جددا ، وتمحيصاً إضافياً ، علاوة على استمتاعه جو الطائف المعتدل ، بدلاً من حر مكة ، حين كانت المكيفات غير معروفة .

وخسر عبد الله خياط ثواب الصلاة في المسجد الحرام طيلة إقامته بالطائف ، وخسر أيضا الجلوس مع علماء مكة خلال الأشهر التي قضاها في الطائف ، إذا لم يكن قد استعاض عنها بمشايخ مسجد ابن عباس بالطائف .



- ٧ -

التدريس

لم يُقدر للشيخ عبدالله خياط أن يدرس على فضيلة الشيخ شعيب الدكالي المغربي الذي عاش في مكة بضع عشرة سنة وغادرها إلى المغرب العربي عام ١٣٢٩هـ .

ولكن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق درس على الشيخ شعيب ودرس الشيخ خياط على الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ ، تلميذ الشيخ سعد .

غير أن الشيخ شعيباً عاد للحج مرتين قبل وفاته في عام ١٣٥٦هـ . فربما أتيح للشيخ عبدالله خياط أن يلتقي به وكان الشيخ شعيب قوي الحجة ، مفحماً قوي الحافظة وقد أخذ عن مشايخ المغرب ومشايخ مصر بالأزهر ومشايخ الحرم المكي . وقد رآه السيد العلامة أحمد بن حسن العطاس الذي زار مكة للحج عام ١٣٢٥هـ وأعجب بحافظة الشيخ شعيب وقوة حجته .

كان ذلك قبل عصر السيارات والطائرات أيام الانتقال على الجمال . وكان الحرم المكي محور هذه الحركة ينتقل إليه المشارقة والمغاربة ويصدرون منه وعنه . وكان طلبة العلم من آسيا وافريقيا وغيرهما يضربون أكباد الإبل كما قال الشيخ خياط للأخذ عن علماء المسجد الحرام .

وها هو الشيخ شعيب ينتقل من المغرب إلى مصر ومن مصر إلى مكة فيمكث فيها السنوات العديدة مدرساً في حلقة صباحية بحصوة باب الصفا وحلقة مسائية في رواق باب السليمانية . ومن بين طلبته الشيخ سعد بن حمد بن عتيق .

ذلك كان الجو العلمي في تلك الأيام .

مع ذلك لا تحسبن طلبة العلم كلهم من الأتقياء البررة . فقد تلقى الشيخ شعيب وهو يدرّس ورقة مكتوب فيها «ياشعيب ما نفقه كثيراً مما تقول ، وإنا لنراك فينا ضعيفاً ، ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز» .

فلما تسلم الورقة كتب فيها أثناء الدرس : (الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين) . واستمر في درسه .

ويختلف رد فعل الشيوخ والأساتذة مع طلبتهم الأشقياء . فبعضهم يرد الصاع صاعين ، والبعض يحول الجد إلى هزل . وهناك شيخ رماه طالب بحصاة في فصل مفروش بالحصا فناداه الشيخ (انت يافلان تعال خذ حصاك) . فاستحيا الطالب وتبسم زملاؤه .

وكانت الطريقة القديمة في التدريس تبدأ هكذا .

يقرأ أحد الطلاب من كتابه مفتتحا كلامه بقوله :

ـ «قال الشيخ المؤلف نفعنا الله بعلومه ورضي الله عنه وعنًّا به»

وذات مرة خطر لأحد المشايخ أن يسأل طالب علم شارد الذهن :

ـ ما معنى «وعنابه» يافلان ؟

فقال الطالب :

ـ لا أدري على وجه اليقين ، ولكن لعل «عنَّابه» اسم زوجة المؤلف .

وينصح خبراء التربية أن يكون الحزم بقدر وإلا اعتاد الطلاب على الوجه المتجهم واجترأوا عليه واستهانوا بصاحبه .

وكثيراً ما يبدأ الطلاب بالهزل ، ومنهم من يخرج عن اللياقة والأدب مثل ذلك الطالب الذي اشترى مرهماً فيه سائل عفن ثم فتحه ورماه تحت الكراسي في غفلة الأستاذ ففاحت الرائحة الكريهة وفتحت النوافذ للتخلص من الرائحة الغازية حتى ذهبت . وحاول الأستاذ أن يعرف

المذنب فلم يعترف له أحد فغادر الفصل ، وخسر الطلاب الحصتين التاليتين قبل أن يتوسط المدير لإعادة الاستاذ **وشعوره جريح** .

وهناك الأستاذ الذي تثاءب فأسرع أحد الأشقياء من الطلبة ووضع دبوساً في فيه . وطالب آخر وضع جرادة في درج الأستاذ فلما فتح الأستاذ الدرج طارت الجرادة في وجهه فانذعر وضحك الطلاب .

وقد روى الشيخ عبدالله خياط قصة استاذه الشيخ سلمان الأزهري فقال :

(ـ انه من أساتذتي في المسجد الحرام وفي المعهد السعودي ، درست عليه في المسجد الحرام كتاب قواعد اللغة العربية ، فكان يرحمه الله معتداً بمكانته العلمية معتزاً بأنه في عداد معلمي الخير في أقدس بقعة يقوم فيها مقام النبوة . ويقول : «إني أجلس هنا مجلس ابن عباس رضي الله عنهما» . وإلى جانب اعتزازه بعلمه ومكانته كان حريصاً على نفع طلابه ، ومن ثم كان شديداً عليهم ، فإذا سمع في الفصل صوتاً غريباً خلع نظارته من فوق عينيه وقال :

ـ الحركة دي من النحيادي ، فمن سببها ؟ وعندما يصمت الطلبة يبدأ بإخراجهم من الفصل واحداً إثر الآخر وقد يخرج أكثر الفصل إذا لم يعلم مصدر الحركة أو الذي قام بها) .

وقد كان الشيخ عبدالله خياط محترماً من أيام الطلب . ولما بدت منه حركة وكان في المقعد الأول خلع الأستاذ سليمان نظارته ونظر إليه نظرة ذات معنى وقال :

ـ وأنت أيضا ياشيخ عبدالله ؟

لقد شغلت مسألة العقاب الشيخ عبدالله كما شغلت أساطين التربية من قبله ، غير أن الشيخ وقد أصبح في موقع الأستاذ والمدير كان أكثر انشغالاً بها . وكان يتذكر أيام الفلكة فلا ينكرها ذلك الانكار الفظيع عندما وقعت على رجليه . وهو الآن وقد قارب الثلاثين من عمره يسترشد

بسيد المرشدين عليه الصلاة والسلام في قوله : (مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر) ، وبذلك يكون العقاب بقدر الضرورة في رأي الشيخ عبدالله . فالنفس تحتاج إلى أدب ، وإلا بقيت في رعونتها وكسلها ونفورها من العزم والجدية .

وقد أعلنها الشيخ محذراً من التدليل الزائد والرخاوة فقال : (لو ترك الحبل على الغارب للمتعلم ، خاصة من كان في دور المراهقة ، فإنه يتصرف تصرف الطائش ، وترك العقاب يفسده ، ويدفعه إلى التطاول على الغير دون مبالاة أو رهبة» وقال «يجب تنويع العقاب فهناك مثلاً حجز الطالب بعد مغادرة زملائه للمدرسة مع تكليفه بواجب أو توبيخه على انفراد أو توبيخه امام زملائه أو إبعاده عن المدرسة إبعاداً مؤقتاً كأسبوع مثلاً إلى غير ذلك» .

وهناك من أولياء الأمور من يحرص على تربية ابنه مهما كان الضرب مؤلماً . لكن بعض الآباء ضعيف أو حريص على ابنه مثل ذلك الأب ، كما تروي النكتة ، الذي طالب بردع ولده الصغير إذا قصّر بضرب الولد الذي يجلس بجواره لكي يخاف ابنه !

وذات مرة زار المدرسة الفيصلية بمكة المكرمة مسؤول تعليمي كبير ، وكان الشيخ عبدالله هو مدير المدرسة ، فأمر هذا المسؤول بعقاب المقصرين عقاباً مروعاً . وعندما ارتفعت يده بالضرب بكت المدرسة من الرعب وكان للأطفال نشيج . وأنقذ الموقف مسؤول آخر بإمساك يد الظالم وإيقاف تمثيلية التعذيب .

وقد وقف الشيخ عبدالله ، رغم حزمه وتشدده موقف الناقد لهذا الترويع ، فلم يكن العقاب مقصوداً لذاته ولا للتلذذ بأنين الآخرين ، بل للتأديب والزجر . كيف لا وشيوخ المسجد الحرام يلقنون مريديهم حديث المصطفى الهادي ﷺ القائل :

«الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» .

لقد كان هذا الحديث هو أول حديث يتلقاه طلبة العلم بالمسجد الحرام واسمه «المسلسل بالأولية» وراويه في حياة الشيخ عبدالله خياط هو الشيخ عمر حمدان المولود بمحرس في تونس عام ١٢٩٢هـ والمتوفي لتسع خلون من شوال سنة ١٣٦٨هـ ولأهمية هذا الحديث نورد هنا سنده من كتاب أتحاف الاخوان للشيخ أبي الفيض محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني المكي :

ـ ١ ـ
المسلسل بالأولية

رواه شيخنا الشيخ عمر حمدان المحرسي بالأولية الحقيقية عن العلّامة الكبير الشريف عبدالكبير بن محمد الكتاني ، قال : وهو أول حديث سمعته منه ، عن العلامة الشيخ عبدالغني ابن أبي سعيد الدهلوي ، قال : حدثنا العلامة محمد عابد السندي ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال : حدثنا السيد عبدالرحمن بن سليمان الأهدل ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال : حدثنا أمر الله بن عبدالله الخالق المزجاجي ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال : حدثنا محمد بن أحمد بن سعيد المعروف ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال : في مسلسلاته المسماة بـ«الفوائد الجليلة» : حدثنا الشيخ أحمد بن محمد الدمياطي المشهور بابن عبدالغني ، وهو أول حديث سمعته منه ، بحضرة جمع من أهل العلم ، قال : حدثنا به المعمر محمد بن عبدالعزيز المنوفي ، وهو أول حديث سمعته منه ، واجازة منه بجميع مروياته ، قال : حدثنا به الشيخ المعمر أبو الخير بن عموس الرشيدي ، وهو أول حديث سمعته منه ، واجازة بجميع مروياته ، في ربيع الأول سنة اثنتين بعد

الألف ، قال : حدثنا به شيخ الاسلام الشرف زكرياء بن محمد الأنصاري ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال : حدثنا به خاتمة الحفاظ الشهاب أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال : أخبرنا به الحافظ زين الدين أبو الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقي ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال : حدثنا به النجيب أبو الفرج عبداللطيف بن عبدالمنعم الحراني ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال : حدثنا أبو سعيد اسماعيل ابن أبي صالح النيسابوري ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال : حدثنا والدي أبو صالح أحمد بن عبدالملك المؤذن ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال : حدثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال : حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال : حدثنا عبدالرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال : حدثنا به سفيان بن عيينه ، وهو أول حديث سمعته منه ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي قابوس مولى عبدالله بن عمرو بن العاص ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

«الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّماءِ» ..

قال السخاوي : أخرجه البخاري في «الكنى» و«الأدب المفرد» والحميدي وأحمد في مسنديهما ، والبيهقي في شعب الايمان ، وأبو داود في سننه ، والترمذي في «جامعه» وقال : حسن صحيح ، والحاكم في «مستدركه» وصححه ، وهو كذلك بحسب ماله من المتابعات والشواهد . انتهى .

والإسلام هو دين الرحمة ، فقد قال الله لرسول الإسلام ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ . ولقد جعل الله الجزاء من جنس العمل فقال من لا ينطق عن الهوى «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله» وقال «لا تنزع الرحمة إلا من شقي» .

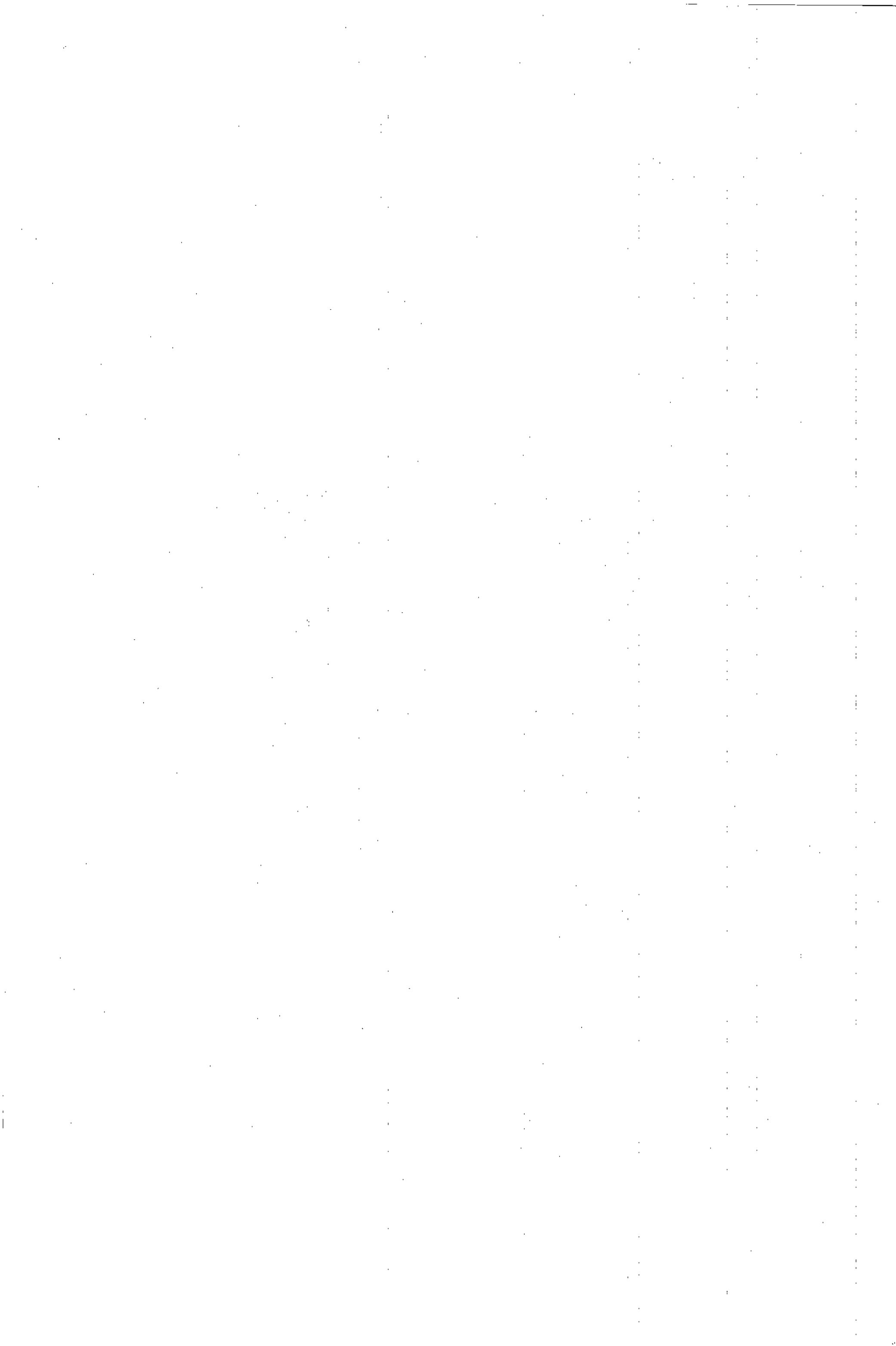
وقال صاحب كتاب النَّفَس اليماني عن حديث المسلسل بالأولية «وهذا حديث جليل لأنه لما كان بدء الخلق وأوليته من تجلٍّ اسمه الرحمن ، كأن الوجود رحمة أو نعمة ، ناسب أن يكون أول ما يقرع السمع حديث الرحمة كما أنه أول ما قرع سمعه الايجاد وهو أول رحمة أوتيها» .

فهل نستغرب بعد ذلك أن يختار الشيخ عبد الله خياط حديث «الأولية» في أول خطبة من موضوعات كتابه الجليل (الخطب في المسجد الحرام) ؟. إن إلقاء هذا الحديث في أول خطبة لم يكن صدفة أبدا .

وللعلماء نظرات عجيبة . فالمحدِّثون يبدأون طالب العلم بحديث الأولية . أما الفقهاء فيختمون أبواب الفقه بباب العتق لكي يتيمنوا بالعتق من النار .

فاستهلال «الخطب في المسجد الحرام» بهذا الحديث نظرة موفقة غرسها علماء المسجد الحرام في روح تلميذهم عبد الله خياط ، فأصبحت علماً وسلوكاً يلمسه الناس في هذا الشيخ الموفق .





- ٨ -



«الحس مسنًي وأبات متهنًي»

هذه هي نصيحة بعض الذين استشارهم الشيخ عبد الله خياط حول الانتقال إلى الرياض في عام ١٣٥٦هـ . والمقصود بالمثل هو القناعة والمكوث مكانه لا يريم .

ولكن صهره الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة قال له : الحركة بركة ، وإن الماء الراكد لا يبرح أن يتعفن وإن بقاءك في الحجاز كمدير مدرسة لا يرفع من شأنك ، فاحزم أمرك وتوكل على الله ولن يخيبك الله أبداً» .

والأصل أن الإنسان يبقى في عمله ، حسب النظرة القديمة ، مالم تكن هناك فرصة اقتضتها تطورات العمل نفسه ، وتطور كفاءة العامل نفسه . وفي التراث القديم قال الشيخ أحمد بن رسلان صاحب «متن الزبد» في الفقه الشافعي :

والأصل أن تمكث حيث أنزلك

حتى يكون الله عنه نقلك

ويروي عن عمر بن الخطاب أنه قال ما معناه إذا فتح الله باب رزق فلا تتركه إلى غيره . ونضيف قيداً في عصر كثر فيه الحرام بترك الحرام إلى الحلال . مثل وظائف الكذب المنتشرة في ميادين كثيرة في عصرنا . فكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به .

وكان الشيخ عبد الله خياط بحمد الله يتحرى الرزق الحلال . ولقد انشرح صدره للسفر إلى الرياض بالسيارة قبل وصول الطائرات ، وقبل تزفيت الطريق بين مكة والرياض .

وقد رشحه لتلك الوظيفة كمدير لمدرسة أنجال الملك عبد العزيز السيد طاهر الدباغ مدير المعارف العام الذي كان يزور المدرسة الفيصلية ويتفقد أوضاعها ويراقب مدرسيها ومديرها .

ولكن يبدو أنه كان هناك نوع من الحساسية بين السيد الدباغ والشيخ إبراهيم الشورى بحكم عملهما في مجال واحد ، فاستدعى السيد الدباغ الشيخ عبد الله خياط وقال له :

ـ قيل لي انك محسوب على الشورى ، أي الأستاذ الشورى سلفه في الإدارة ، ولكني لم أر منك إلا خيراً طوال سنوات تعاملي معك ، فأوضح لي .

فقال الشيخ خياط :

ـ الأستاذ الشورى هو أستاذي وتتلمذت عليه ومن حقه عليّ أن أفي بعهده ، وأن أخلص لشخصه ، أما سيادتكم فرئيسي ومن واجبك عليّ أن أتعاون معك ولا أخرج عن أمر فيه مصلحة للمدرسة رأيته فأمرت به .

وهي إجابة تكشف عن شخصية الشيخ عبد الله خياط أمام رجل عرك الحياة وكان شخصية لامعة في العهدين الهاشمي والسعودي بل وفي كثير من البلدان العربية التي أقام فيها . فجواب الشيخ عبد الله مقنع ورصين ينم عن عقل موفور .

وهكذا نجح الشيخ عبد الله في الترشيح لمدرسة أنجال الملك عبد العزيز وأعطي صلاحية اختيار المدرسين الذين سيعملون معه . وقد اختار السيد أحمد علي والأستاذ صالح الخزامي .

وكان جلالة الملك عبد العزيز معجباً بقراءة الشيخ عبد الله خياط للقرآن في الحرم الشريف ، وعندما عرّفه به فضيلة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ عرفه الملك وقال له : انت الذي كنت تصلي بنا التراويح في سنة كذا ؟ فأجاب الشيخ عبد الله بالايجاب .

غير أن الملك عبد العزيز كان يتتبع سلوك الرجال فقال للشيخ عبد الله خياط في بداية تكليفه :

ـ أنا علمت انك شديد ، وبلغني أنك ضربت ابن فلان ، وأنا أشير عليك أن لا تطق العيال من أول مرة لانهم ينفرون منك . أما إذا درجوا على المدرسة وألفوا التعليم فأخمل أحدهم ، وإذا تأخر أحد منهم عن المدرسة ساعة ، فأخره بعد اخوانه ساعتين ، وإذا قصّر في أداء الواجب فأخّره حتى يكمِّل القاصر عليه» .

وعندما فتحت مدرسة الأنجال بحي المعابدة في مكة حيث قصر الملك ، عثر أحد الأمراء الصغار فشج رأسه وبدأ الدم يسيل منه ، وكان من لطف الله أن مدير المعارف شهد الواقعة .

كانت بداية شديدة ، وقد سبقت شهرة الشيخ عبد الله خياط في حزمه وعدم تهاونه إلى أسماع الأمراء الصغار فإذا بهم ينتظمون دون تأخير . ويبدو أن والدهم يرحمه الله قد نبههم إلى صفات الشيخ عبد الله فجاؤوا في الساعة المحددة .

إن التربية تتم في وقتها . يتعلم الطفل المشي في وقت معين ، والكلام في وقت معين وكذلك يتعلم الأدب في وقت معين بالحزم حيناً وبالملاينة حيناً ، فإذا مضى وقت التربية فقل للشمس أن ترجع من مغربها فلا ترجع ، إلا ماشاء الله .

ثم جاء فراق مكة .

جاء وقت تربية من نوع جديد وتضحية من طراز فريد . حان فراق البيت الحرام ، وصحبة المشايخ الأعلام ، والأهل والخلان إلى ديار لا يعرفها الشيخ عبد الله خياط إلا فيما قرأه عن الشاعر الأعشى والشاعر جرير .

أزفت تربية المربي ، وما كان هناك بدّ من الانتقال إلى الرياض . وقد

قضى الشيخ المسافة في ستة أيام بالسيارة ونقطعها نحن بالسيارة أيضا ، اليوم في عشر ساعات أو أقل بفضل الله .

والرياض هي معقل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب المتوفَّ في ١٢٠٦هـ . وقد انتشلت هذه الدعوة نجداً من حضيض الجهل إلى العلم ، ولكنها نكبت بغزو ابراهيم باشا بن محمد علي باشا والي مصر . وحدثني من أثق به أن الحكم المصري لم يستمر سوى سبع سنوات . ثم عادت نجد إلى أهلها . روى لي ذلك شيخ من رجال الدرعية بالرياض في عام ١٤٠٩هـ .

إن الدعوة وحدها ما كانت لتوحد الجزيرة لولا اقتران السيف بها مع علو همة الملك عبدالعزيز ومخاطرته بحياته أكثر من مرة ، ومع وجود ظروف دولية مواتية ، فتحقق هذا الكيان العامر بتأمين طريق حجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد رسوله الكريم . فالناس يحتاجون إلى الأمن كما يحتاجون إلى القوت ، وقد أصبح الراكب يسير من تبوك إلى جيزان ومن جدة إلى الدمام لايخاف إلا الله والذئب على غنمه ، بل أن الذئب هو الذي يخاف ، بفضل الله ، وبسبب تطبيق الحدود والحزم في هذا التطبيق التزاماً بشرع الله .

على أن معمعة الخلاف الفكري والسياسي قد اشتدت مما حدا ببعض الحكومات الإسلامية إلى إيقاف أوقاف الحرمين الشريفين وذلك عدوان لا يجوز لها أن تفعله .

وكان الشيخ عبدالله خياط كما قال ولده د. عبدالعزيز قد «اهتم بالدعوة السلفية منذ بداية شبابه وكان له ولع بدراسة العقيدة على منهج أهل السنة والجماعة ، ثم كرس حياته بالسير عليه والدفاع عنه وله في ذلك كتابات ومؤلفات متعددة» . وأضاف د. عبدالعزيز قائلا «كما أنه يهتم باتباع سنة المصطفى ﷺ في جميع أموره سواء ما يتعلق منها بالعبادة أو السلوك والتعامل . ومن أمثلة ذلك المداومة على الأذكار

المأثورة والمحافظة الدائمة على صيام التطوع كصيام ست من شوال والثلاثة الأيام من كل شهر والعشر الأوائل من ذي الحجة ، وعاشوراء ، وكذلك صلاة التطوع كالسنة المؤكدة وصلاة الضحى وقيام الليل . ومن أمثلة ذلك أنه لا يجب أن يقف أحد من جلسائه لمن يدخل إلى مجلسه ، سواء في المنزل أو المكتب اقتداء بالسنة» . انتهى .

وكان للشيخ عبد الله مشايخ سلفيون يحترمهم ويجلهم منهم الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ والشيخ أبو بكر خوقير .

وكان الشيخ الخياط ولا زال محباً لآل بيت رسول الله ﷺ ، وقد حدثني بذلك ثقة عرف هذه الخصلة عنه عن كثب .

وذات جمعة قال له شيخه فضيلة الشيخ سلمان الحمدان وهو من علماء نجد «ايش فيك ياشيخ عبد الله كثرت من قول سيدنا في الخطبة ، ألم يبلغك حديث أنس أن ناساً قالوا يارسول الله ياخيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عَبْد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله إياها» يقول الشيخ الخياط :

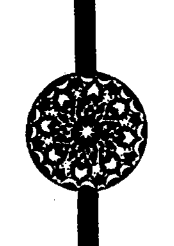
«قلت له جزاك الله خيراً»

ثم استطرد الشيخ الخياط كما جاء بمقاله بجريدة عكاظ في ١٠/٤/١٤٠٥هـ .

«وفضيلته أي الشيخ الحمدان يقصد بذلك أن المواطن التي ورد فيها الصلاة على الرسول ﷺ وعلمها الرسول للصحابة لا يصح فيها زيادة كلمة سيدنا ـ كما في الخطبة : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وإلا فهو ﷺ سيد ولد آدم كما صح عنه أنه قال أنا سيد ولد آدم ولا فخر» .

على أية حال لقد أخذ الشيخ عبد الله خياط عن علماء مكة المكرمة وأخذ عن علماء نجد ، وتهيأ شيخنا للمكوث في الرياض لأداء مهام وظيفته الجديدة ، وهي تربية أبناء الملك المؤسس يرحمه الله .





- ٩ -

حي دخنة

شوهد الغلام عبد العزيز آل سعود وعمره إثنا عشر عاماً ثائر الرأس يصارع الفتيان في الكويت ، وما بلغ الحادية والعشرين من عمره إلا وقد أصبح أميراً على الرياض . وكان الملك الشريف الحسين بن علي قد منع حجاج نجد من أداء حجهم إلى بيت الله الحرام فانتهى الأمر بعبد العزيز أن يحتل الحجاز ويصبح سلطان الحجاز ونجد ثم ملك المملكة العربية السعودية التي تنوف مساحتها عن مليوني كيلومتر مربع .

وقد عهد إلى ولده سعود بن عبد العزيز بما يلي :

«أوصيك بعلماء المسلمين خيراً . احرص على توقيرهم ومجالستهم وأخذ نصائحهم واحرص على تعلم العلم لأن الناس ليسوا بشيء إلا بالله ثم بالعلم ...» .

وكان الملك عبد العزيز مشغوفاً بالبادية كما صرح ذات مرة لأهل الحجاز . وكانت الرياض في ذلك الحين عاصمة البادية فافتتح الملك عبد العزيز أول مدرسة بها وهذا بحد ذاته من الأعمال الخطيرة في تاريخ صحراء العرب .

وكان الملك عبد العزيز قد أنشأ «مديرية المعارف» في عام ١٣٤٦هـ ، بمكة المكرمة عاصمة المملكة وقتئذ . ولكن الحال بقي في الرياض على ماكان عليه من اقتصار التعليم على حجرات بجانب المسجد ومنها حجرة في الجانب الجنوبي من مسجد الشيخ محمد بن ابراهيم ، وحجرة بالجانب الشمالي يدرس فيها الشيخ ابن مفيريح ، وحجرة بجانب مسجد الجفرة بدخنة يدرس فيها الشيخ علي اليماني والشيخ محمد بن

سنان .. وهكذا ، دون أن تكون هناك مدرسة نظامية ، قبل افتتاح مدرسة الأمراء في عام ١٣٥٤هـ . وكان الملك عبدالعزيز قد استدعى الأستاذ أحمد العربي وكلفه بإدارتها ثم أسندت الإدارة إلى فضيلة الشيخ عبدالله خياط .

وما كانت الرياض مدينة بل غابة من النخيل . وكانت واحة الصحراء لكثرة نخيلها وكثرة آبارها . ففي جوفها فيض من المياه ، وفي خارجها فيض من الزيت . والغريب أنه كلما مضى الزمان ازدادت اكتشافات النفط من حولها وشحت المياه في داخلها . فكانت الرياض في القرن الرابع عشر الهجري من أهم مدن العالم لسكان كوكبنا وهي عاصمة العرب أولي البأس الشديد في قلب الجزيرة العربية .

وكان سكان الرياض مشغولين بحروبهم مع سكان الدرعية وسكان منفوحة قبل أن يوحد الله المملكة بعبدالعزيز . فرزقهم الله الأمن والمياه العذبة ، والنخيل الكثير والرطب الحلو المستطاب والذهب الأسود .. (يبعد حقل الرغيب عن الرياض ١٢٣ كيلومتر) .

وأرى أن جو الرياض ، في الخريف أو الربيع أبدع الأجواء ، لكنه شديد الحرارة صيفاً ، ويلفحك بزمهريرة شتاء .

وقد حل الشيخ عبدالله خياط والسيد أحمد علي أسد الله في حي دخنة بالرياض قبل خمسة وخمسين عاماً .

ولاحظ السيد أحمد علي في ذكرياته التي نشرها نادي الطائف الأدبي أنه نام أول ليلة في الرياض نوماً هانئاً بدون طنطنة البعوض أو قرصاته . فليس في الرياض بعوض ، ولا كهرباء ، ولا دورات مياه فيما عدا بعض البيوت الكبيرة ، ولا حلاقين ، ولا فنادق ، ولا مستشفيات ، ولا مكتبات . ولكن الأسودين الماء والتمر متوفران ، والناس بصحة جيدة .

وعندما بحث السيد أسد الله عن مكتبة في الرياض فلم يجد قال صاحب له : «أتظن نفسك في باب السلام بمكة ؟» .

مع ذلك كان حي دخنة مجتمع العلماء والقضاة حيث كانت منازلهم عامرة بالدرس والبحث في علوم الدين والدنيا . وكانت هناك مكتبات خاصة تضم نفائس الكتب منها مكتبة القصر الملكي ، ومكتبة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ ، ومكتبة الشيخ حمد بن فارس ، ومكتبة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، ومكتبة الأمير عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود .

وقال الأستاذ خالد بن أحمد السليمان في معجم مدينة الرياض عن حي دخنة :

«دخنة هي من أكبر وأشهر أحياء مدينة الرياض ، هي بحق قلب مدينة الرياض النابض بالحركة المزدهر بالتجارة المكتظ بالسكان ـ والوافدين من القرى» .

وفي العام الذي وصل فيه الشيخ عبدالله خياط الرياض أنشئت بلدية الرياض . وكانت بلدية مكة قد أنشئت في العام الذي ولد فيه . والمكرر يحلو .

وأشهر مساجد الرياض كان «مسجد الشيخ» بحي دخنة ويدرّس فيه الشيخ محمدبن ابراهيم مفتي المملكة آنذاك في حلقات صباحية وحلقات بعد الظهر وبعد المغرب ، بل قد تمتد الحلقات إلى بعد العشاء . وكان المسجد كما وصفه الشيخ حمد الجاسر كأنه خلية نحل لكثرة ما يجتمع فيه من طلبة العلم في ذلك الزمان ، وكان الشيخ حمد أحدهم .

و«مسجد الشيخ» كان أقرب المساجد إلى مسكن الشيخ عبد الله خياط وزميله السيد أحمد علي . وكان الطلاب يدرسون في المسجد وتصرف لهم وجبات طعام ، خصوصاً الطلاب من خارج الرياض .

غير أن الدروس المسجدية في الرياض شيء ودروس المدارس النظامية شيء آخر . فكان هناك ثلاثة فصول للأمراء وفصل لتابعهيم ، تحت إدارة الشيخ عبدالله خياط . وما لبثوا إلا يسيرا حتى طلب بعض أفراد

الحاشية الملكية من الأستاذ صالح الخزامي ، أحد المدرسين بمدرسة الأمراء أن يدرسهم بعد المغرب الخط والحساب والانشاء . وكذلك كان .

وكانت رواتب المدرسين مغرية حقا . فقد كان راتب السيد أحمد علي مائة ريال كاملة شهريا . وهو بمقاييس ذلك الوقت راتب عال يعادل ضعفي راتبه في مكة ، وأكثر .

وذكر الشيخ عبد الله خياط أن راتبه في عام ١٣٥٥هـ حين كان مديراً للمدرسة الفيصلية بمكة كان ستين ريالاً (أو ثلاثة جنيهات انجليزية ذهبية) .

وكان هناك تضخم ندركه خلال ربع القرن فيما بين ١٣٣٠هـ و ١٣٥٥هـ فقد كان الخروف مثلا يباع بريال واحد وأصبح سعره في عام ١٣٥٦هـ خمسة ريالات . (وفي عام ١٣٨٩هـ اشتكى الشيخ أحمد الغزاوي من ارتفاع سعر الخروف إلى مائة وخمسين ريالا) .

وكان سعر الجنيه الذهب في بداية القرن الرابع عشر نحو سبعة ريالات عربية . يكفي أن تعلم أن عبد العزيز آل سعود عندما أراد غزو الرياض أعطاه مبارك بن صباح أمير الكويت وقتذاك مائتي ريال وعددًا من الجمال والبنادق . وتحققت الانتصارات برأسمال أساسي هو ذلك المبلغ لا غير .

وكان عبد العزيز يرحمه الله مهتما بالعلم بصورة استراتيجية وقد جعل الشيخ عبد الله خياط «المطوع الحجازي» أميناً على تدريس فلذات كبده .

ولقد تناقلت وكالات الأنباء أن الملك عبد العزيز عندما وصل إلى الكويت زائراً سمع أن معلماً كان يقرأ عليه القرآن في طفولته موجود بها فاستدعاه ولاطفه ومنحه ثلاثة آلاف روبية (وكل روبية تساوي جنيه ذهباً) . وكان يرحمه الله يقول للشيخ عبد الله خياط «أريد أن يفهم أبنائي معنى ما يقرأونه من القرآن ليكون ذلك ادعى إلى العمل . فالعلم بلا عمل لا فائدة منه» .

ولم يكن أنجال الملك بمدرسة الأمراء متقاربين في العمر . وهناك حفيد أكبر من بعض أعمامه . ولكن قصة الولد مشاري بن عبدالعزيز شدت انتباه الشيخ خياط .

وكانت أم مشاري قد اهتمت بطفلها وتعليمه فقادته إلى مسجد حلة الشرقية بالرياض وسلمته للشيخ صالح بن مصيبيح مطوع المسجد وقالت له «لك اللحم ولنا العظام» .

وتعلم مشاري التهجئة بوسائل بدائية ثم تعلم بعض سور القرآن إلى أن التحق بمدرسة الأمراء ، وتتلمذ على الشيخ عبدالله خياط . وكان يسير في دراسته سيراً حثيثاً حتى كان أول من ختم القرآن من بين اخوانه ، ولم يكن أكبرهم .

وقرر الشيخ عبدالله خياط أن يقيم له احتفالاً متواضعاً ، لأن ختم كتاب الله لا ينبغي أن يمر دون احتفال . لقد تذكر الشيخ صباه وتندّت عيناه ، رحم الله الشيخ عبدالغني خياط والده ، هاهو تلميذ من تلاميذ التلميذ الذي درس بالمسعى ذات يوم .. هاهو يذكّره بالنهج المتبع في مكة عند ختم القرآن .. واهاً لك يامكة .. وأين أنت .. وأين الرياض منك !.

وذو الشوق القديم وإن تعزّى

مشوق حين يلقى العاشقينا

إنها ذكرى ختم القرآن .. فلم لا تدمع عينا الشيخ ؟

لكن الملك عبدالعزيز كان أشد انفعالاً بالمناسبة . لقد أمر أن تعطل المؤسسات الرسمية ودوائر الدولة ، وأما بنعمة ربك فحدث ، فمشاري قد ختم القرآن العظيم . وكان يوماً بهيجاً احتفل فيه سكان الرياض بالعرضات والأفراح .

وكان الجندي المجهول في تلك النعمة التي تحدثت بها واحة النخيل في صحراء العرب هو : أم مشاري التي اجتهدت وقررت أن تضحي باللحم

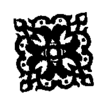
وتكتفي بالعظم لكي يتعلم ابنها كتاب الله .

وكان من بين من حضر احتفالات ختم القرآن هذه بالرياض الكولونيل ديكسون الوكيل السياسي بإحدى إمارات الخليج .

وكان عبد العزيز آل سعود يريد أن يفهم أبناؤه معنى ما يقرأونه من القرآن ليكون ذلك أدعى إلى العمل لأن العلم بلا عمل لا فائدة منه . فكان العلم الشريف هو إحدى استراتيجيات عبد العزيز .

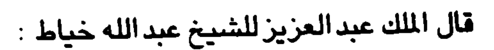
ويذكر مشاري في الخمسين من عمره وقد أصبح مؤلف كتاب «خطوات فوق الصخور» أنه تأثر وهو صغير بكتاب «جواهر الأدب» الذي كان يراه في يد أحد اخوانه الكبار . وقد طلبه مشاري فأعطاه إياه .

وكان ذلك الأخ هو ثامن الأنجال : فهد بن عبد العزيز الذي أصبح ملك المملكة العربية السعودية منذ عام ١٤٠٢هـ ، أعز الله به الدين ونصر به المؤمنين .



- ١٠ -





قال الملك عبدالعزيز للشيخ عبدالله خياط :

- «إن بيوت الرياض هي كما ترونها . والرياض اليوم ضاقت بالسكان . والبيوت الطيبة فيها قليلة . ومع هذا فابحثوا عن دار تناسبكم ونحن نأمر لكم بها» .

وبحثوا فعثروا على دار جديدة بأجرة سنوية قدرها مائة وخمسين ريالاً فكتبوا إلى الملك عبدالعزيز (فأمر في الحال رئيس خاصته السيد الطبيشي أن يستأجرها) .

وقد كانت في حارة كثيرة النخيل اسمها حلة الشرقية . وكانت مدرسة الأنجال في قصر الرياض بالديرة داخل سور الرياض . ثم انتقلت المدرسة إلى قصر المربع في عام ١٣٥٧هـ خارج سور الرياض القديمة .

وكانت الرياض بدون كهرباء ، ماعدا القصر الملكي فكان الأساتذة يقضون فترة مابين العشاءين في غرفة خاصة بالقصر للمراجعة والتحضير .

وكان مجتمع الرياض يشعر بالأنس لوجود عبدالله خياط وزملاؤه السيد أحمد علي والأستاذ صالح الخزامي والأستاذ علي حمام ، فمنهم تعبق رائحة العاصمة المقدسة أم القرى ، ومنهم من يمثل ظرف أهل الحجاز المشتهر في أجلى معانيه . وهذه الثياب البيضاء الأنيقة والغتر البيضاء والسيماء الرقيقة مدعاة للإيناس وشعور بالمدنية واقتراب من معين العلم الشريف والثقافة العصرية .

والرياض بالنسبة لما حولها عاصمة المدن . وأهل الريـاض قوم مدنيون كأي مجتمع بشري ، غير أنهم وقد اكتنفتهم الصحاري ، أكثر لهفة على الاجتماع بالناس إذا نالوا ثقتهم ، ولقد مرت بالكاتب تجربة سفر في نجد فتوقف بالسيارة أمام ساكن مع صديق له للشرب فلا تسل عن اجتماع الأطفال وسط الصحراء الموحشة وعلى مسافة منهم نساء الساكن محتجبات وقد سارعن لضيافة الزائرين باللبن وكأنهما سحابة غيث .

ولعل هناك من يجلو هذه الخاصية في مجتمع نجد المتحدي لوحشة الرمال وقسوة الحياة ، واقبال هذا المجتمع على الألفة وتبديد العزلة .

وكان للشيخ عبد الله خياط جاذبية غريبة في ريعان رجولته وموفور بنيانه وكمال عقله ، قد صقلته التجاريب وأضاءته أنوار العلوم . ولكنه يأبى الاختلاط بالناس طلبا للعزلة . وقد كان بإمكانه أن يندمج في المجتمع فيصبح نجماً من نجومه ووزيراً من بين أعضاء مجلس الوزراء . غير أنه ما سعى نحو ذلك ، بل إنه يصف نفسه فيقول :

«فالوضع الذي درج عليه مستوحى من تكييفه لنفسه وحملها على الانعزالية في كل دروبها والبعد عن الأضواء .. انتهى به الأمر إلى الانطواء والعزلة .. فقد انصرف عن المجاملات والمحاولات في الجري وراء الشهرة والسهر على حب الظهور» . وكان ذلك :

«نتيجة لكثرة ما قرأ عن العزلة ومكاسبها . من ذلك قول بعض أساطين الحكماء : من أراد اجتماع همه وإصلاح قلبه فليحذر من مخالطة الناس هذا الزمان» ..

ثم يقول :

«أرى العزلة حمية ، والنظر في سيرة القوم دواء ، واستعمال الدواء ، مع الحمية عن التخليط ، نافع . إن دوام العزلة كالبناء والنظر في سير

السلف يرفعه ، فإذا وقعت الخلطة انتقض ما بني في لحظة وصعب التلاقي وضعف القلب» ..

«وإذا كانت الانعزالية التي رسم خيوطها وأخذ نفسه بها في بلده وبين اخوته وأصدقائه والمحبين لشخصه ، إذا كانت الانعزالية في بلده هي الخطة المحببة لديه فكيف به وقد انتقل إلى بلد أضحى فيه غريبا ؟...

«والمرء بحكم بشريته لا يسلم من زلة أو هفوة وعلاج ذلك الانعزالية ، إذ تكون زلته وهفوته مستورة وعواره لا تمتد إليه الأعين ولا الألسن (ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها)» .

وقد امتنع الشيخ عبد الله عن الزيارات والسهرات والندوات حتى مع الرفاق إذا دخلوا الدار يذهب كل منهم إلى حجرته لا يجتمع بالآخر إلا عند تناول الطعام أو الخروج إلى المسجد أو الخروج من الدار إلى العمل .

لقد كان الشيخ عبد الله يستهدي بحديث المصطفى ﷺ . فقد سأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ قائلا : «دلني يارسول الله على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس قال : «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس» والحديث الآخر : صح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أصحاب القبور» .

وقيل لرسول الله وقد نام على حصير فأثر في جنبه الشريف يارسول الله لو اتخذنا لك وطاء ـ أي فراشا واقيا ـ قال «ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها» وقال «قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافاً وقنّعه الله بما آتاه» .

ومع ذلك لا تكاد تمضي ليلة دون دعوة للقهوة أو تناول العشاء في الرياض . بل لعل هذه الدعوات تشي باللهفة على حضور مجلس الشيخ المكي والحظوة منه بسويعة من حديث .

وبطبيعة الحال لم يكن يعتذر عن كل هذه الدعوات ، ولكنه يستجيب بمقدار وفي حدود . وكان ينتهز هذه الفرص للدعوة إلى الله وإرشاد وتوجيه من يلتقي معه أو يجلس إليه . كل ذلك بأدب ولطف . فقد رأينا كيف أنه كان في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يذكره أهل مكة إلا بخير . وقد كان ينتهز الفرص للتوجيه في المنزل أو في السيارة أو في المكتب أو في المسجد ، كما يقول ولده الدكتور عبد العزيز .

وكان الملك عبد العزيز كريماً معه محبا له ، ولكن من سياق اللمحات ومن ثنايا الحديث تلمس أن الشيخ عبد الله كان ذا مسئوليات كبيرة . وهو لا يشكو بطبيعة الحال .

فقد كان كريم النفس عزيزها . تجده في مقالات عن الشخصيات التي كان لها أثر في نفسه يركز على عزة النفس وعلى خصال الارتفاع عن الدنايا والسفاسف ويمدح في شيوخه هذه الخلائق ويتمثل بقول الشاعر محمود سامي البارودي :

خلقت عيـــــوفـــــاً لا أرى لابن حرة
علـيّ يدا أغضي لهـا حـين يـغضب

والشيخ عبد الله يتذكر الحديث الصحيح عن الصادق والمصدوق «ليس الغنى عن كثرة المال ، ولكن الغنى غنى النفس ، ومن يستغن يغنه الله» .

وكان مع هذا الإباء متواضعاً . فهو في سيرة حياته بعنوان «لمحات من الماضي» يتجنب كلمة أنا ويستخدم مكانها «صاحب اللمحات» ويقول عن نفسه المدرس الأول ولا يقول المدير أو مدير المدرسة إلا على استحياء حتى ليشعر قارىء اللمحات كأن المدير شخص آخر . فإذا كان في ورطة

استخدم كلمة المدير لأن بريقها يصبح أخف كأنه يقول انظروا إلى ضعف المسكين . ومن أمثلة تواضعه في التعامل مع المستخدم من سائق أو خادم أو فراش انه يحترمهم ويقدرهم ولا يدعوهم إلا بقول «ياحاج فلان» أو يا أخ فلان ، أو ياشيخ فلان إذا كان كبيراً في السن وله ولع بطلب العلم الشريف . ويضيف ابنه الدكتور عبدالعزيز عبدالله خياط :

ومما يذكر في هذا المضمار أنه عندما يحين موعد تناول الطعام فإنه لا يبدأ الأكل إلا بعد التأكد من أن مستخدميه قد حصلوا على طعامهم ويتخذ هذه الطريقة حتى لو كان لديه ضيوف في المنزل وذلك مراعاة لشعور مستخدميه وتقديراً لمكانتهم الانسانية .

وعلى أية حال فقد ساعدته هذه العزلة في الرياض لأن يصرف كل همه إلى عمله في تربية الأمراء . وقد كشفت هذه العزلة عن أن الشيخ لم يكن يتزلف لأحد ، حتى أنه كثيراً ماكان يضطر لمداراة مواقف محرجة مع الملك عبدالعزيز الذي كان يسأله دائماً لماذا لا تزورنا ؟ أو يطلب من الشيخ عبدالله أن لا ينقطع عنه أو يطلب منه أن يودعه عندما يسافر عائداً إلى مكة . يقول الشيخ عبدالله عن هذه العلاقة في «لمحاته» .

«قصر صاحب اللمحات زياراته لجلالته على قدر الضرورة ولمصلحة العمل ولكن جلالته أمر مدير الجراش الملكي بتجهيز سيارة للمدرس الأول كلما أراد أن يغشى قصر المربع لحضور المجلس الليلي الذي يحضره العلماء وفيه الاستماع إلى فصول من التفسير والحديث وغيرهما ، ومن لطف جلالته أنه لم يحدد للزيارة يوماً أو ليلة بل جعلها بحسب رغبة المدرس وراحته وذلك بمنتهى الاكرام ، ويأتي ضمن الزيارة تلاوة القرآن التي كثيراً ماكان يحب الاستماع إليها من معلم أنجاله» .

وكان أهل الرياض كرماء في معاملته أوفياء لشخصه يلمس ذلك من لقاءاتهم معه وأحاديثهم له كلما ضمه بهم مجلس أو التقى بهم في طريق أو اجتمع معهم في مسجد .

رغم ذلك ، يقول الشيخ عبدالله :

«فإن طابع الانعزالية يتجسد فيه فلم يكن يلجأ إلى أحدهم لقضاء مصلحة خاصة أو يعوّل عليه في شفاعة إن كان ممن له وزنه ، وبلغ من انعزاليته أنه كان لا يقابل اليد بمثلها ..

أولا لأنه يعيش في حدود ضيقة لا تمكنه من أن يبسط مائدة أو يدعو إلى طعام ثانياً لأن طابع الانعزالية يغلب عليه فلا يتمكن من مغالبته والخروج عنه إذ قد أضحى جبلّة وطبعاً له . وقديماً قيل الطبع يغلب التطبع» . من اللمحات باختصار .

على أن الرجل كان كريماً ، فمن المستحيل أن تكون فيه هذه الشمائل مع نقيصة البخل . فهو لا يرد سائلاً محتاجاً قط بل كان يعطيه قدر الاستطاعة ويحث أهل بيته ، وهذه معلومات داخلية ، على مداومة الصدقة ومساعدة الآخرين بكل وسيلة .

والكرم ليس في العطاء ، ولكن في الامتناع أيضاً . وسواء كان من التواضع أو كان من ضيق ذات اليد ، فإن الشيخ لم يركب سيارة فارهة قط في ملكه ، بل يشتري سيارة بحسب الوسع ، وهذا الوسع لا يتسع للكرم وللسيارة الفارهة معاً .. وقد كان كريماً ، بدون سيارة فارهة طبعاً ، بل سيارة بأرخص الأثمان تسعفه بتنقلاته وكفى .

قال حافظ ابراهيم :

وإذا رزقت خليقـــــــة محمـــودة

فقـــــــد اصطفـــــاك مقسم الأرزاق

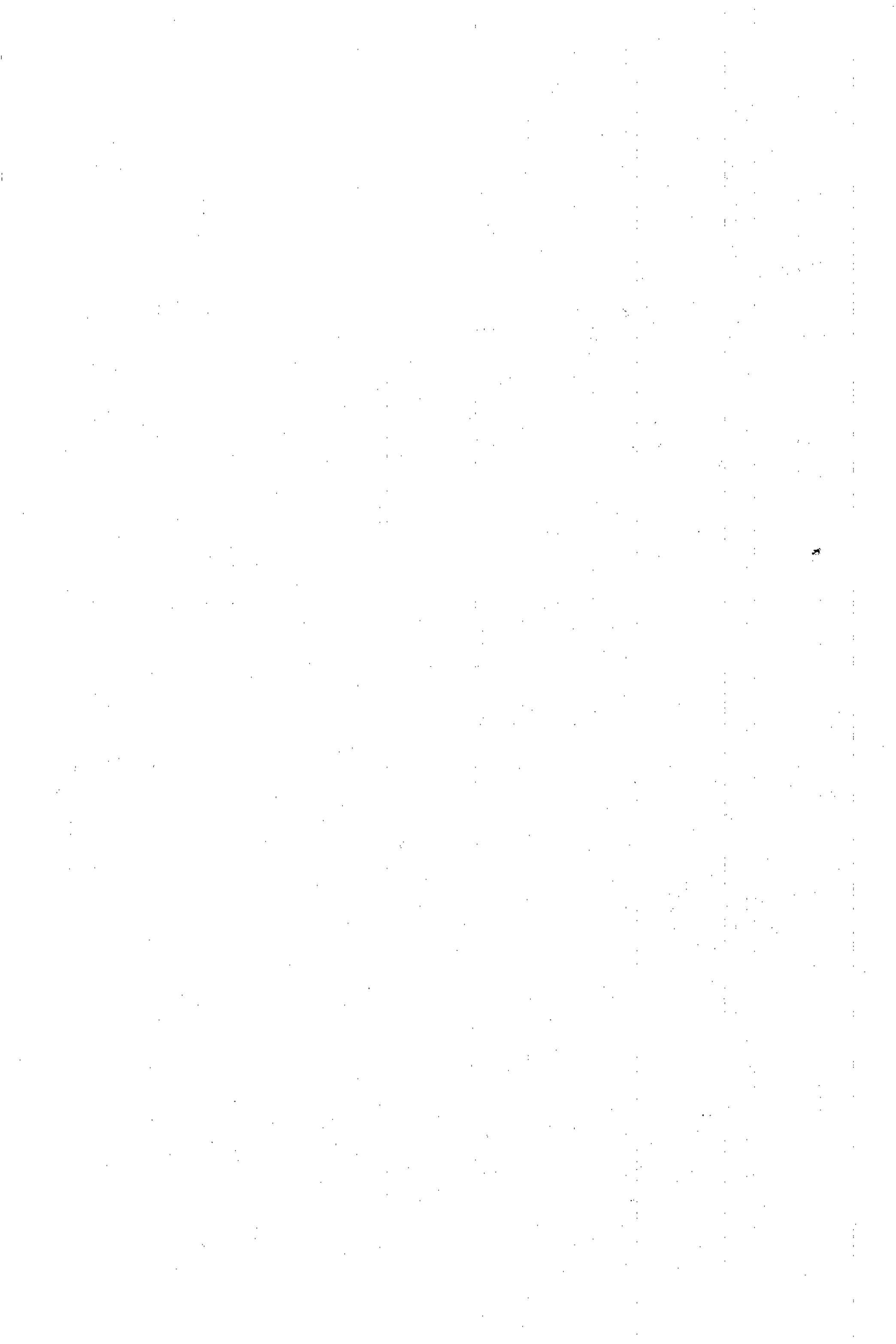
لقد كانت الرياض تأرج بكريم شمائل الشيخ عبدالله وهي الشمائل التي اكتسبها ـ حفظه الله ـ في سيره إلى الله ، وقد أخذها من أسرته ومن العلماء الفطاحل ورثة الأنبياء في المسجد الحرام عندما كان يطلب العلم

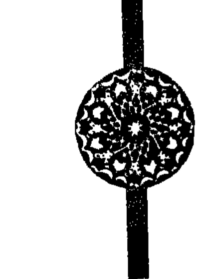
هناك . وكان أول المعجبين بهذه الشمائل هو الملك عبدالعزيز يرحمه الله .

ومـــا هـــذه الـــدنيـــا بـــدار اقـــامـــة

ومـــــاهي إلا كـــــالطــــريق إلى الكفن







- ١١ -

تدبير

لا تـــدبـــر لـــك أمـــراً فـــذوي التـــدبـــير هلكى
سلم الأمـــــر إلينـــــا نحن أولى بـــــك منكـــا

هذا هو شهر رمضان قد أقبل بصيامه وقيامه ، والشيخ عبد الله خياط بعيد عن المسجد الحرام بمسافة ألف كيلومتر ، كما هو بعيد عن أهله ، وقد انهمك في الفترة الماضية في تدريس الأنجال ، حتى إذا جاء الليل ...

نهـــاري نهـــار النـــاس حتى إذا بـــدا
لي الليـــل هـــزّتني اليـــك المضـــاجـــع

وإذا كان أهل الرياض يشتاقون إلى مكة والمسجد الحرام فكيف بالشيخ خياط ، فإذا قلنا أن الحنين يكاد يقضي عليه لم نبعد كثيراً ، فما خطر له حين صام رمضان العام الماضي أن يكون بهذا الفراق البعيد عن مهبط الوحي والمشاعر المقدسة وزمزم والمقام .. ترى متى نرى مكة مرة ثانية ؟؟

وسرت في الرياض إشاعة اعتمار جلالة الملك ، وجاء الأمر إلى مدير المدرسة وزملائه : استعدوا . وفي نفس الليلة طلب الملك عبد العزيز من الشيخ عبد الله خياط أن يقرأ بصوته الشجي من حفظه القوي شيئاً من كتاب الله ، ولم يحدد له .. وكان الشيخ قد حدد لنفسه ..

وانطلق الترتيل الرائع :

﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رؤوسكم ومقصّرين لا تخافون .. فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾ .

ولم يتمالك الملك نفسه وهو يستمع لكلام ملك الملوك أن يبكي ، ويسمع الشيخ أزيز المليك وهاطل دمعه فيمسك عن القراءة فيشير عليه الملك بالاستمرار .

وعاد الشيخ إلى مكة ، والطير إلى عشه ، إلى حين . ورأى الشيخ «الأحجار التي لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع ، جعلها الله بيته الحرام الذي جعله بأوعر بلاد الأرض حجرا وأقل نتائق الدنيا مدرا ، سواء العاكف فيه والباد ، ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ . وهتف الشيخ عبد الله من أعماق فؤاده :

«اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتكريما ومهابة وبرا» كما هتف أبوه عبد الغني قبل ثلاثين حولاً وهو يحمل رضيعه عبد الله خياط إلى المسجد الحرام .. «وزد من شرفه ممن حجه أو اعتمره تشريفا ..»

وكان الشيخ عبد الله خياط قد خرج إلى رماح ، منطقة قنص تبعد عن الرياض عشرين كيلومترا ، ولعلها الآن حي من أحيائها ، وهناك افتتح فصولاً دراسية في الخيام لمرافقة جلالة الملك دون قطع الدروس . وهنا في مكة كذلك بدأت الدراسة من جديد بمدرسة المحمدية كما بدأت العام الماضي غير أن الملك ذهب أيضا للقنص بالمحدثة بالقرب من الطائف ومعه أنجاله ومدرسوهم .

ولكن بينما كانوا في الطريق إلى المحدثة هطل مطر غزير فالتجأت هيئة التدريس إلى مقهى في الطريق بالسيل الكبير ، وهنا شعر الأستاذ صالح الخزامي بضيق شديد وألح على زملائه بالخروج وفعلا خرجوا تحت المطر ، وما أن خرجوا حتى انهار المبنى ، وهي كرامة واضحة .. قال الشيخ عبد الله عنها :

«لقد رأى صاحب اللمحات تسجيل هذا المدد الإلهي ليبقى مدى الحياة يذكره .. بأن لله ألطافاً لا يمكن أن يحدها التصور أو تدركها العقول :

لا تـــدبـــر لـــك أمـــرا فـــذوي التـــدبـــير هلكى
سلم الأمـــــر إلينـــــا نحن أولى بـــك منكـــا ..»

وحان فراق مكة مرة أخرى .. وفراق الأهل ، وتوجه الشيخ عبدالله للارتحال هو ورفاقه إلى الرياض لسنة دراسية جديدة وأثناء هذه الرحلة غرقت السيارة في الصحراء فلما أنقذوها هبَّت كالعفريت دون أن تنتظر ركوب منقذيها .. واضطر الشيخ للسير على قدميه وسط الجزيرة العربية حيث الحر الشديد ، ولا ماء ولا زاد .. فما إن جاء المغرب حتى سقط مغشياً عليه . واحتاج إلى مدد جديد من رب كريم .

ومرت الواقعة بلطف من ألطاف الله ووصلوا إلى الرياض سالمين في ٢/٢/١٣٥٧هـ ، بعد مغامرات منها مالم نقصص عليك .

واستؤنفت الدراسة :

ثلاث ساعات في الصباح في قصر الحكم بالديره وساعتين بعد الظهر في قصر البديعة .. بمسجد البديعة خارج الرياض القديمة ، وتم تعديل البرنامج بحيث يدرس الأنجال مواضيع تليق بجو المسجد أكثر من غيرها .

وسارت الأمور سيراً حسناً دون مكدر .. ثم التحق بالمدرسة أبناء ولي العهد ثم أبناء بعض الأمراء ثم آخرون من بقية الشعب بالحصول على تصاريح من جلالة الملك عبدالعزيز ، وبعد ذلك فتحت مدرسة أخرى خاصة بأبناء الأمراء نظراً لأن الأنجال كانوا يتنقلون مع والدهم .

وختم أمراء آخرون القرآن الكريم على رأسهم الأمير عبدالرحمن .. واحتفلت الرياض بالمناسبة .. وانتهى العام الـدراسي .. وأصبحت الأمور تسير حسب المألوف . دراسة فارتحال فدراسة أثناء الارتحال فإجازة في مكة فدراسة فارتحال .

أما في السنة التالية ، فقد ظهرت مشكلة للشيخ عبدالله ، سببها إشاعة تقول إن المدرسين يفاضلون بين الطلاب . يقول الشيخ عبدالله :

وكانت مأساة .. «وعهد جلالته إلى ولي العهد (الملك سعود) بالتحقيق فاستدعى المدرس الأول فلم يتمالك أي المدير من أن يذرف الدمع لهول الصدمة وأقسم بالله العظيم أنه لم يحدث شيء من ذلك وأخذ ولي العهد يرحمه الله يهديء المدير» .

ولعل القارىء يلاحظ هنا أن الشيخ عبدالله أشار إلى المدير ، أي شخصه هو ، ولم يقل صاحب اللمحات ، لكي يقرأ القرّاء حكاية المدير الباكي .. وهو تواضع لا ينكره منكر .

ورفع تقرير إلى جلالة الملك بعدم صحة الاشاعة وبراءة هيئة التدريس مما نُسب إليها .

لقد بدأت رحلات الشيخ عبدالله برحلة إلى الطائف لكي يحزم أمور مدرسة خرجت عن الانضباط ، أو بالأصح بعض طلبتها فعلوا ذلك ، وسافر إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم وربما مرة أو مرتين إلى جدة في تلك السنين الغابرة ، ولكن ما درى أنه سوف يذرع الصحراء بين مكة فعشيرة فالموية فالدفينة فعفيف فالقاعية فالدوادمي ثم خف ثم النفود فالعينية .. أو مرات أولاً ثم الجبيلة ثم الرياض .. ذهاباً وإياباً كل عام لفترة سبعة عشر عاماً ، عدا مرات قليلة بالطائرة ..

غير أن هذا ما حدث .. وكان يمضي بمعدل شهر في السفر والاستعداد له كل عام وتجهيز السيارة إلي آخره ..

وكان أيضا يسافر مع جلالة الملك خارج الرياض إلى روضة التنهات وروضة خريم وروضة الخفس والخرج والى المنطقة الشرقية بل والبحرين . والمدرسة كانت تتنقل فأحياناً تحت الخيام وذات مرة كانت الفصول داخل السيارات فكانت حياة ارتحال بمعنى الكلمة خلال أعوام العمل في الرياض .

وكان الملل يساور الهيئة أحياناً ، وخصوصاً لأن الطعام في البر ما كان مناسباً في كل الأوقات .. ربما لأن الهيئة كانت مثلاً تشتاق إلى

الفول أو البيض أو الأطباق الأخرى في مكة ، وما كان ذلك ليتيسر خصوصاً أثناء القنص .

والحق أن الشيخ عبدالله ما شكا من ذلك .. وذلك جانبا من جوانب شخصيته الآخذة بالعزائم بدلاً من الرخاوة وتدليل النفس .. وحكماء السلوك إلى الله يقولون .. «خل نفسك وتعال» . والنفس مالم تكن مطمئنة فهي لوامة .. وأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي .

يقول ولده عبدالعزيز «إن المتتبع لحياته وسلوكه وتعامله مع الآخرين يتضح له مدى تواضعه وزهده في الدنيا وزخارفها وسعيه للباقيات الصالحات» .. وأورد أدلة على ذلك :

● فعندما فكر الملك عبدالعزيز يرحمه الله بإسناد وظيفة كبيرة إليه اعتذر بشدة عن قبول ذلك وقال إنني لا أرغب في غير مجال التعليم .

● وعندما صدر أمر الملك سعود يرحمه الله باختياره رئيساً للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بالغ في الاعتذار لاعفائه من هذه الوظيفة .

● وعندما فكر الملك فيصل يرحمه الله في إسناد إحدى الوزارات إليه قدم العديد من الأعذار لصرف النظر عن هذه الفكرة واعفائه منها .

● عندما قررت الدولة تخصيص بدل سكن لأئمة الحرمين رفض استلام البدل وقال إنني أسكن في منزلي ولا أدفع إيجاراً للسكن .

● لا يتقاضى أي مكافأة مقابل كتاباته في الصحف والمجلات .. وإذا حدث أن تسلم أي شيء من ذلك فإنه يوقفها للأعمال الخيرية وذلك لاقتناعه بأن ما يكتبه جزء من الدعوة إلى الله .

وقال ولده عبدالعزيز إنه يقرر هذه الحقائق على الرغم من (معرفتي الأكيدة بعدم رغبته في إظهار ذلك ، فقد عمل جاهداً على اخفاء بعض هذه الحقائق حتى عن أقرب المقربين إليه) .

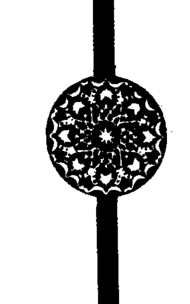
لقد خرج عبدالله خياط إلى هذه الدنيا وليس عليه شيء ، وبقي خفيفاً شأن السلف الصالح ، لأنهم يدركون أن أمامهم عقبة كأداء ، وأن

المخفِّين هم القادرون على اجتيازها . فكانوا يتعففون عن الحلال ومالا بأس به ، فكيف عن الحرام أو المشبوه والربا أو المغصوب والمنهوب ؟ .

لذلك كان هذا الرجل .. قدوة للناس .. الكبير منهم والصغير .. عافاه الله ، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا .

لقد تخلى عبد الله خياط عن نفسه . قال الإمام السرهندي يرحمه الله تعالى «اعلم أن أصل كل بلاء إنما يكون من الابتلاء بالنفس ، ومتى تخلص الانسان منها تخلص من الابتلاء بما سواه تعالى ، فإن كان يعبد الأصنام فإنما يعبد نفسه في الحقيقة (أرأيت الذى اتخذ آلهه هواه) . خل نفسك وتعال» .





- ١٢ -

دوائر

كيف يرى عبد الله خياط نفسه ؟ هذه هي صورته بقلمه

«ولدت بمكة المكرمة عام ١٣٢٦هـ من أصل عربي يعود إلى مدينة حماة بالشام ودرست العلوم الأولية في مدرسة الخياط بمكة المكرمة على عهد الحكومة الهاشمية درست المنهج الثانوي في المدرسة الـراقية وحفظت القرآن في المدرسة الفخرية ـ التحقت بالمعهد السعودي بمكة وأخذت الشهادة منه عام ١٣٥٠هـ . أول وظيفة حكومة أسندت إليّ العضوية في هيئة الأمر بالمعروف بمكة ـ ثم الادارة للمدرسة الفيصلية بمكة فالادارة لمدرسة الأمراء أنجال جلالة الملك عبد العزيز بالرياض ثم انتقلت إلى مستشار للتعليم فمديراً للادارة العامة للتعليم بمكة ووكيلاً لكلية الشريعة بمكة وخطيباً للمسجد الحرام عام ١٣٧٣هـ فعضواً في هيئة كبار العلماء بتاريخ ٨/٧/١٣٩١هـ ـ صدر لي من المؤلفات الخطب في المسجد الحرام ٦ حلقات دليل المسلم ـ الرواد الثلاثة ـ صحائف مطوية ـ اعتقاد السلف ـ التفسير الميسر (٣) أجزاء ـ مبادىء السيرة النبوية ـ تأملات في دروب الحق والباطل (تحت الطبع) .

توقيع
عبد الله خياط

ويقول عباس محمود العقاد إن للإنسان ثلاث شخصيات الأولى : الشخصية التي يعرفها الناس عنه الثانية الشخصية التي يعرفها هو عن نفسه والثالثة الشخصية التي خلقه الله عليها .

وفي واقع الأمر أن الانسان حوله دوائر تبدأ بزوجته وولده ثم خلص إخوانه وأصدقائه ثم جيرانه ثم معارفه . وإذا لم يكن متزوجاً فتبدأ الدوائر بوالديه أولاً .

ومن الدائرة الأولى المنشورة أعلاه لا يجد الإنسان مجرد الاسم الرباعي للشيخ عبدالله .. ولا نجد ذلك في كتابه «لمحات من الماضي» كما اننا لا نعلم ماذا كان يعمل أبوه رحمه الله ، وهو شخصياً له رأي في الأسئلة الكثيرة . ولكن كتابه «لمحات» يدل على عنوانه ، فقد ترك الرجل عتبة منزله وطفق يحدثنا عما يراه ويتعامل معه . فنحن نستفيد كثيراً من لمحاته وخصوصاً أنه يعرض مفاهيم دعوية خلال الأحداث . أما شئونه فيما وراء عتبة المنزل فلا يعرض لها إلا لماما . فقد نظر الرجل إلى موقع العبرة من حياته فكتبها ، ونظرته هو تختلف عن نظرة المؤرخ الذي يبحث عن أكبر كمية من المعلومات ثم يختار منها .

ويملأ الدكتور عبد العزيز خياط الأجوبة على الأسئلة المطروحة جزاه الله خيراً .. فيقول من إطار الدائرة الثانية .

أنجب الشيخ أربعة أبناء وأربع بنات . وقد اهتم بتعليم أبنائه وبناته إلى درجة كبيرة وأثمر ذلك بفضل الله مؤهلات علمية عالية . وقد بدأ اهتمامه بتعليم البنات قبل افتتاح المدارس الحكومية فكان يدرسهن العلوم الدينية واللغة العربية ويهيىء لهن مدرسات خصوصيات في العلوم الأخرى . وذلك لاعتقاده بأن الأم هي مربية الأجيال وعلى يديها تتشكل شخصية الطفل واتجاهاته .

والعبارة الأخيرة عامة . إذ تحتاج إلى صفحتين على الأقل لإيضاح مراميها . غير أن الشيخ قد أوضح ذلك في خطبه بالمسجد الحرام ـ

وخصوصا خطبته عن حجة الوداع وفيها الوصية بالنساء .

ويستمر د . عبدالعزيز في عرض الصورة عن والده فيقول :

غالباً ما يتناول وجباته اليومية مع أفراد الأسرة كما أنه يخصص للأسرة نسبة عالية من أوقاته يومياً وأسبوعياً فيتحدث معهم ويزودهم بتوجيهاته .

وهو يتابع بدقة قيام أفراد الأسرة بالواجبات الدينية فهو يوقظهم بنفسه لأداء صلاة الفجر يومياً ويذكرهم بأداء الفروض الأخرى عند حلول أوقاتها .

وهو يراقب بشكل دقيق دراسة أبنائه وسلوكهم وعلاقاتهم الاجتماعية وإذا لاحظ تأخر أحدهم أو ضعفه في إحدى المواد يشعر بالقلق الشديد ويأخذ بمتابعة الموضوع مع المدرسة ومناقشتها في كيفية رفع مستوى الابن في تلك المادة .

ويقول حفظه الله «إنهم إذا أكثروا من حفظ القرآن فسيكونون متفوقين في دراستهم للعلوم الأخرى» . فلعل المناهج تركز أكثر فأكثر على تحفيظ القرآن الكريم بدلاً من الاستماع إلى منظّرين «من إذا حصل مفتّح أعوره» . وقد أكرم الله ابنه د . أسامة بحفظ القرآن كاملاً وهو في سن مبكرة .

يضيف د . عبدالعزيز شفوياً أن د . أسامة يختلف ترتيله عن ترتيل والده . ويبدو أن د . أسامة هو أصغر ولد الشيخ عبدالله . وقد ولد عام ١٣٧٥هـ . والشيخ عبدالله لم يتزوج غير زوجة واحدة .

وقال د . عبدالعزيز أن والده يهتم كثيراً بتلاميذه ومن تربطه بهم صلة علم أو إفادة ويتفقد أحوالهم ويسعى لمصالحهم ويراسل من سافر منهم إلى أماكن أخرى وكان حفظه الله يحب المراسلة ويرى أن فيها اتصالاً روحياً يحفظ أواصر المودة .

وهذه جوهرة ، اتحفنا بها د . عبدالعزيز ، من جواهر سلوك الشيخ .

وأضاف أن والده عندما تولى الإمامة في المسجد الحرام رفض استلام المكافأة المخصصة لأئمة الحرمين واستمر يؤدي واجبه على أكمل وجه سنين طويلة وبعد مرور تلك السنوات ونتيجة لمحاولات متعددة لاقناعه باستلام المكافأة ثم تخصيص جزء منها لأعمال البر والاحسان وافق على استلام المكافأة وتوزيعها كإعانات لبعض الأسر .

ولقد هاتفني د. عبدالعزيز حول هذا الأمر ورغبة الشيخ في إخفائه فقلت له إن هذه المعلومة قد أصبحت حقاً عاماً لا ينبغي الحجر عليه . وقلت له إننا نعرف الكثير مثلاً عن نجوم الغناء والرياضة بينما نعاني من تعتيم شديد على كبارنا الذين يحتاج الناس للاقتداء بهم . ولن يستطيع أحد الاقتداء في محيط من التجاهل والتجهيل ، بتسليط الأضواء على القاع وترك القمم .

لقد كان من أعلام خيرية الشيخ هو الاستغناء عن الناس وعن المادة . وقد قال عنه من يعرفه حق المعرفة وهو الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي :

«وهو في كرمه ، لا يدَّخر ، فلا تستقر النقود في راحته ولا جيبه ولا صندوقه» .

وكانت علاقته الوحيدة بالأرصدة البنكية هي أنه كتب كتاباً يشرح فيه أضرار الربا ومصائبه ومعالنة الله لأصحابه بالحرب . وتجده يندد بآفة الربا كلما عرض لشئون المال في خطبه ومقالاته ويدعو إلى إقامة مؤسسات مالية تلتزم بشريعة الله بصدق لا بدعوى .

وأولاده هم :

د. عبدالرحمن خياط دكتوراه في الطب ـ تخصص أمراض القلب ـ ويعمل نائب مدير مستشفى الملك فهد وهو كبير أطباء المستشفى ورئيس قسم أمراض القلب .

د . عبدالعزيز خياط	دكتوراه في التربية تخصص ادارة التعليم العالي وهو وكيل عمادة البحوث العلمية عضو هيئة التدريس بقسم الادارة التربوية ـ جامعة أم القرى .
أحمد عبدالله خياط	ماجستير في الشريعة ـ تخصص تاريخ إسلامي ـ الشئون الادارية والمالية وكالة وزارة الحج والاوقاف ـ مكة المكرمة .
د . أسامة خياط	دكتوراه في الشريعة ـ تخصص علوم الحديث والتفسير ـ رئيس قسم الكتاب والسنة كلية الدعوة وأصول الدين ـ جامعة أم القرى .

وقد أوردنا معلومات متفرقة في ثنايا البحث عن أوراق قدمها الدكتور عبدالعزيز وهو أقرب الناس إلى فضيلة الشيخ . وقد زودنا ببرنامجه اليومي وهو كما يلي :

قال : عندما نتحدث عن برنامجه اليومي فإننا نعني الفترة التي كان فيها يزاول كافة نشاطاته قبل اعتلال صحته عافاه الله .

يبدأ يومه قبل صلاة الفجر بساعتين حيث يصلي ما يتيسر له من قيام الليل وعندما يحين وقت الفجر يتجه إلى الحرم وبعد عودته من الصلاة يتأكد أن جميع من في البيت أدى الصلاة ثم يجلس بعض الوقت في تلاوة القرآن بعدها ينادي أبناءه لتسميع ما حفظوه من القرآن حتى شروق الشمس .

وبعد الافطار يقوم بكتابة بعض مقالاته ومن ثم يتوجه إلى المكتب وهناك يستقبل زواره وأعضاء المكتب ويستغل هذه الفرصة بإلقاء الضوء على بعض الآيات والأحاديث والتعليق عليها ثم يتابع ما لديه من

أعمال إلى صلاة الظهر حيث يخرج للصلاة وبعدها يعود إلى المنزل ويشتغل بإنجاز بعض المعاملات الكتابية إلى الساعة الثانية ظهراً . ثم يتناول طعام الغداء ويرتاح قليلاً إلى صلاة العصر حيث يخرج إلى الصلاة وبعد عودته يجلس في مجلسه العام حيث يجتمع فيه بعض المشايخ والأدباء والأعيان إلى جانب من يأتي من طلبة العلم والمستفتين وذوي الحاجات . ويستمر هذا المجلس إلى صلاة المغرب . أما بعد صلاة المغرب حتى صلاة العشاء فهناك مجلس علمي خاص ، غالباً ما يعقد بمواعيد وتنسيق مسبق . وفي معظم الأحيان تكون فيه قراءة من بعض الكتب ومناقشة تتم بين الوالد ومن يحضر من العلماء ، وأحيانا تكون فيه لقاءات بين الوالد وبعض أصدقائه ومحبيه . وهذا المجلس يعقد في بعض أيام الأسبوع . وقد يكون في المنزل أو خارجه . أما المجلس العام فيعقد في جميع أيام الأسبوع حتى أيام الجمعة وبعد صلاة العشاء مباشرة يتناول طعام العشاء وعادة يكون خفيفاً جداً ثم يستسلم للنوم .

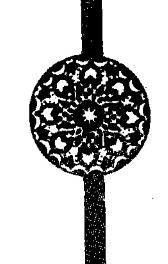
وهو لا يحب السهر وكان يعتذر عن أي ارتباط بعد صلاة العشاء لعدم رغبته في السهر .

آراء الدائرة الثالثة من الأصدقاء والمحبين :

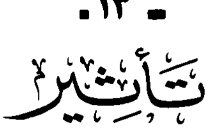
د . محمد عبده يماني :

«كان يخاطب العقول ويلمس القلوب . كان يألف ويؤلف وهو قدوة حسنة للداعية والمربي الفاضل ، وكان يتجنب أي فحش في القول ، يبتسم للناس ويحيّي صغيرهم وكبيرهم» .

أحمد محمد جمال ، الكاتب الإسلامي المعروف : «كان الشيخ عبدالله خياط رقيق الحاشية ، لطيف المعشر ، يستأنس به من يخالطه ويحس كأنه يعيش مع صديق قديم» .



- ١٣ -



علماء الجزيرة العربية وعلماء مصر الذين كانوا أئمة في المسجد الحرام ، وعلماء الأقطار الاسلامية من مغاربة وشاميين وهنود ، كان لهم الأثر العميق والراسخ في عقل ووجدان فضيلة الشيخ عبد الله خياط ، ولذلك كثيراً ما تراه يستشهد في خطبه وفي مقالاته المسموعة والمكتوبة بأقوال العلماء دون أن يذكر أسماءهم لكثرة ما اتصل وواصل واستمنح واستمد وقرأ ودرس . لذلك فإن تأثيره هو في تلامذته وجمهوره والرأي العام كان كبيراً وواسعاً وعميقاً . ولا أدل على تبيان ذلك من ملاحظة نشرها فضيلته نقلاً عن ابن القيم رحمه الله . قال :

«وقد خلق الله النفس شبيهة بالرحى الدائرة التي لا تسكن ولابد لها من شيء تطحنه ، فإن وضع فيها حب طحنته ، وإن وضع فيها تراب وحصى طحنته .. فمن تطحن رحاه حباً يخرج دقيقا ينفع به نفسه وغيره ، وذلك مثل لكل نافع تشتغل به النفس ، ويكون له أثره في الغير ، كالأعمال الصالحة مثلاً» .

فهذا الذي لم تطحن رحاه سوى العلم والعمل النافع في تعليم الناس هذا العلم لابد وأن يكون له أكبر الأثر في الرأي العام وفي الناس المتلقين عنه . يقول الأستاذ عبد العزيز الرفاعي : «إن فضيلة الشيخ كان مديراً للمدرسة الفيصلية في مكة المكرمة ، وترك فيها ذكرى عاطرة .. يرددها عنه طلبته فيها .. ثم أصبح مديراً لمدرسة الأمراء في الرياض .. وها نحن نرى كيف أحبه طلبته الذين أصبحوا اليوم من كبار رجال الحكم .. وهم

له أوفياء ، يزورونه ويعودونه ، ويجلونه ، ويعطونه حقه من التكريم والتبجيل .. بل لقد كان فضيلته ، محل التكريم والتقدير من الملك المؤسس عبدالعزيز يرحمه الله ، فقد كان يقرأ في مجلسه العلمي بعد العشاء جانباً من السيرة والتاريخ . وكان لديه من المقربين ..» .

ويضيف الأستاذ الرفاعي عن أثر الشيخ في مسيرة التعليم وفي الحياة الثقافية بصورة عامة قائلاً :

«ولم يقتصر أثر فضيلة الشيخ على جانب التعليم ولا على تلك الثقافة العامة التي كان يهبها للناس عن طريق خطبة الجمعة في المسجد الحرام ، التي لم يكن تأثيرها مقصوراً على مرتادي الحرم المكي الشريف ، بل كانت خطبة تنطلق من الإذاعة والتلفاز فيستفيد من توجيهاتها في كل مكان يصل إليه التلفاز والإذاعة .

ـ لم يقتصر على ذلك بل قد اشتغل شيخنا بالتأليف فوضع كتبا مدرسية ، ونشر كتباً علمية في السيرة والفقه والتوحيد والتاريخ .. والنصائح .

كما نشر عدداً كبيراً من المقالات في الصحف والمجلات ولاشك أن كل ذلك المهد الفكري الكبير كان له أثره العظيم في مسيرة الثقافة« .

ومن تجربتي الخاصة ، وأنا ليس لي اتصال بفضيلته ، أني صليت الفجر قبل عقدين من الزمان بالمسجد الحرام يوم عاشر ذي الحجة فشعرت بعروة حالما انطلق صوت الشيخ عبدالله خياط بقراءة الفاتحة ، وهو شعور تكرر مرة أخرى عندما وصلت مطار الكويت وقت أذان المغرب في رمضان في عام ١٤٠٢هـ تقريباً وكنت في حافلة متجهاً إلى مدينة الكويت وبعد المغرب سمعت صوت الشيخ من إذاعة الكويت يرتل ما تيسر من القرآن الكريم فتذكرت أم القرى والمسجد الحرام ، وكان لصوته هزة في النفس وشرحاً للصدر بخير ما يشرح الصدور : كتاب الله .

ثم علمت أن الرجل رفض أن يتقاضى أي مبلغ لتسجيله كتاب الله

بـسـوته ، وقد ذكر ذلك الأستاذ بدر كريم في مقال له بجريدة عكاظ في ٢٠/٧/١٤٠٥هـ .

يقول الأستاذ الرفاعي عندما وجهت إليه الأسئلة عن فضيلته : «الحديث عن صديقي الحميم فضيلة الشيخ عبدالله عبدالغني خياط ـ حبيب إلى نفسي .. وأنا لا أترك فرصة متاحة للحديث عنه إلا اهتبلتها .. ذلك لأنه من الرجال الأفذاذ .. وأحمل له في أعماق نفسي تقديراً عظيماً ومودة كبيرة ، وأجد في الحديث عنه راحة نفسية ، وبودي لو أستطيع أن أوفيه بعض حقه .. ولكن أنى ذلك .. كتب الله له الشفاء» .

ولئن كنا قد رأينا حديث الشيخ عن نفسه في الدائرة الأولى ، وحديث ولده في الدائرة الثانية ، ثم حديث صديقه الحميم الأستاذ الرفاعي في الدائرة الثالثة ، فسنرى حديث تلامذته عنه ومنهم الاستاذ الدكتور عبدالوهاب أبوسليمان في الدائرة الثالثة أيضا .

وكل أبناء مدرسة الأمراء ، وفي طليعتهم أبناء الملك عبدالعـزيز يذكرون بالخير والاعزاز فضيلة الشيخ الخياط . ويدلل الشيخ على ذلك في كتابه لمحات من الماضي بقوله : «فكان من أحدهم أن قال معتداً ومعتزاً وهو ما برح في عمر الزهور (أنا ولد عبدالعزيز جلست على المداد في المسجد أو على مقاعد الدراسة في الديرة) . والمداد هو حصير مستطيل كان يجلس عليه الطلاب بمدرسة الأمراء بمسجد قصر البديعة في الرياض» .

وإذا كان قد فات كثيرًا من الناس التلمذة في المسجد الحرام ، فإن من تتلمذ على الشيخ عبدالله ومنهم أبناؤه البررة قد حازوا نصيبهم الأوفى بالطلب على فضيلته ، وهو الذي درس سنوات طويلة وأعواماً مديدة ، مباشرة ، في المسجد الحرام بمكة المكرمة .

وكان من تأثير الشيخ عبدالله خياط أنه ، وهوالذي تأثر بالدعوة السلفية التي بدأها الإمام الشيخ محمدبن عبدالوهاب في نجد قبل أكثر

من قرنين ، قد نشر مقالات متعددة في جريدة عكاظ عن هذه الدعوة ورموزها فكان في ذلك تقريباً للجيل الجديد إلى هذه الدعوة وتعريفاً برجالها الذين أفضوا إلى ربهم . فكان الشيخ حلقة وصل بين علوم المسجد الحرام والنهضة العلمية التي ترعرعت بعد دعوة الإمام الشيخ محمدبن عبدالوهاب وهي الدعوة التي يعترف كثير من المنصفين بأن لها أثراً كبيراً في تنقية الدعوة الاسلامية من البدع والشوائب ومنها مناشدة المقبورين مما لم يأذن به الله .

وكان من أصدقاء الشيخ عبدالله خياط في الرياض الأميران مساعد بن عبدالرحمن وعبدالله بن عبدالرحمن وهما شخصيتان علميتان كانت مجالسهما عامرة بمجالس الخير من علم وأدب . وقد ذكرهما الشيخ في لمحاته ، وكان للأمير مساعد أيادٍ على الشيخ يذكرها فضيلته بالخير . وكان الأمير عبدالله يناقش فضيلته فيما انتهجه من أسلوب خطابي في أداء خطبة الجمعة بالمسجد الحرام إذ كان الشيخ يجمع بين التذكير والوعظ وبين مناقشة قضايا الأمة والمجتمع في خطبه بينما يرى الأمير عبدالله التركيز على الوعد والوعيد وما أعده الله من نعيم للأبرار وعذاب للفجرة من الكفار .

إن امتلاك قلوب الناس هبة إلهية . قال تعالى ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ .

ويروي أن عمر بن عبدالعزيز ، يرحمه الله ، قبل أن يلي الخلافة كان نائبا للوليد بن عبدالملك على مدينة النبي ﷺ ، وكان قد ساسهم سياسة صالحة ، فقدم الحجاج من العراق وقد سامهم سوء العذاب ، فسأل أهل المدينة عن عمر : كيف هيبته فيكم ؟ قالوا ما نستطيع أن ننظر إليه هيبة له ! قال كيف محبتكم له ؟ قالوا هو أحب إلينا من أهلنا ! قال : فكيف أدبه ؟ قالوا : مابين الثلاثة أسواط إلى العشرة .. قال : هذه هيبته وهذه محبته وهذا أدبه ! هذا أمر من السماء .

فلربما كان المرء لسنا قوى المنطق ، ولكنه لا يجد القبول عند الناس ، بدون سبب ظاهر . ومن علم الله منه الصدق فإن تأثيره في النفوس يكون بالغاً وعميقاً .

وعندما حقق الملك سعود يرحمه الله مع الشيخ عبد الله خياط ـ مثلاً ـ كان الموقف النفسي للشيخ شديد الانفعال فلم يجد ما يدلل على براءته سوى ذرف الدموع . فهذه التضحيات .. وهذا البعد عن الأهل وعن بيت الله الحرام تكون عاقبتها المساءلة عن محاباة أو مفاضلة ؟ فلم تحتمل أعصاب الشيخ ذلك الموقف ، وإذا بالأمير سعود يتأثر ، وإذا بالتحقيق ينقلب إلى تهدئة وترضية ، ويخرج الشيخ من حضرة الأمير عزيزاً وقد برأه الله من قالة المفاضلة .

وعاد الشيخ إلى مكة المكرمة وهو في أرفع مقام ، وله من الاعزاز والتكريم ما يعرفه الجميع دون حول منه ولا قوة سوى كرم الملك العلام عز وجل .

وعندما حدث حادث جهيمان إذا بالملك خالد شخصياً يتصل بالشيخ يطمئن عليه ، وهو ما سجله الشيخ في لمحاته . فقد عاصر الشيخ خمسة ملوك وكلهم يجلون الشيخ ويحترمونه .

فإذا ارتقى منبر المسجد الحرام تجد الناس يتعلقون بصوته وبالقائه وبخطبه وبقراءاته .. ويحبونه ويكرمونه .. فيمتلك قلوب السامعين .. وكل ذلك يدل على القبول عند الله ـ بإذن الله ـ ولا نزكي على الله أحداً .

وإن توفيق الله لفضيلته فيما تركه من أثر واضح للعيان . فقد ملكت محبته قلوب مخالطيه من طلاب وأصدقاء وجمهور المتلقين والمستمعين ،

والتوفيق عزيز فليس سهلاً أن تكسب قلوب الناس وأن تؤثر فيهم لولا أن الله يسر ذلك وجعل للشيخ القبول في نفوس وعقول الرأي العام ـ شفاه الله ومتعه بالصحة .

يلخص الأستاذ الرفاعي كل ذلك في مقال له بجريدة الجزيرة بتاريخ ٢٩/٧/١٤٠٣ ـ نقتطف منه ما يلي :

«قضى فضيلة الشيخ الخياط حياته كلها ـ أمد الله في حياته ـ في الميدان الديني والتعليمي ، وكان ومايزال إماماً بحق في كل ما وسِّد إليه من عمل ، وفي كل ما يبدى من قول ..

فقد عرفته متواضعاً .. زاهداً يتمتع بخلق عال ، فقد وهبه الله من المزايا والصفات ، ماينذر اجتماع مثلها لشخص ، إلا في أمثلة شاردة .

والحقيقة الثالثة التي يعرفها الناس من قرّائه حينما يكتب في الصحف أنه يتمتع بموهبة أدبية عالية فهو ذو أسلوب عربي مبين يحسن اختيار كلماته ويجيد سبك أفكاره وإبرازها ، فديباجته ديباجة أديب متمكن ضم إلى متانة القديم رونق الحديث» .

وإني لأذكر للأستاذ عبدالعزيز بن أحمد الرفاعي أن أوراقه التي أرسلها إلى مؤسسة عكاظ من الولايات المتحدة قد وصلت اليّ أثناء كتابة هذا الكتاب وقد أفضى بي البحث إلى عنق زجاجة ، فهذا المترجَم الفاضل ، الكبير سناً ومقاماً قد أعلن أنه رفيق عزلة ، وهو الحبيب إلى كل من يعرفه ، فكيف يكون منعزلاً وهو أنيس جلساءه . ألا تعني العزلة الانقباض عن الناس بل والتجهم لهم والنفور منهم ؟

هذا ما قد يجول بذهن قارىء هذا الكتاب لولا أن أسعفني الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي بعشرين ورقة كتبها بخطه الجميل وأسلوبه الرفيع .

قال الأستاذ الرفاعي عن الشيخ الخياط تجلية لهذا الجانب :

«عرف عنه كل من عرفه دماثة الخلق ولين الجانب وكرم النفس واليد ...» و«كان لطيف المعشر بين خاصته ، يتبسَّط معهم ، ويشاركهم في رواية الطرف والملح والنوادر ، بحيث لا يزري ذلك بمكانته ولا بعلمه وأدب نفسه .. ولكنه كان يشيع البهجة بين مجالسيه ، ويرفع التكلف فيما بينه وبينهم إلى الحد الذي لا يفقده احترامهم ، والاعتراف بمنزلته بينهم في الصدارة« .

ثم قال :

«وعرفت فيه رقة القلب ، وعطفه على الفقراء والمساكين أو المحتاجين إلى جاهه ووساطته ، فلم يكن ليدخر من كل ذلك شيئاً .. وله أبواب من الخير يحرص على سترها ..

كما هو شديد الحدب على أبنائه ، كثير العناية بأصدقائه ، متفقداً لجيرانه ، حتى لأولئك الذين لم تكن تربطهم به رابطة إلا الجيرة .. وكان يحتمل من عنت بعضهم ما يحتمل ليرضيهم» .

فقد سد الأستاذ بهذه الإضاءات فراغاً ووضع إجابة لسؤال حرج وجليّ قضية هامة .

ثم يحكي الأستاذ الرفاعي قصة اللقاء الأول مع فضيلة الشيخ عبد الله خياط في عام ١٣٦٠هـ .

«كنت قد تخرجت لتوي من المعهد العلمي السعودي وهو المعهد ذاته الذي تخرج فيه شيخنا الفاضل قبل ذلك بسنوات كثيرة . فهو إن صح ظني من الدفعة التي تخرج فيها صديقه علامتنا الجليل الشيخ حمد الجاسر حفظه الله».

- ملحوظة : ولد الشيخ حمد الجاسر بقرية البرود من قرى نجد في عام ١٣٢٨هـ -

ويستطرد الأستاذ عبد العزيز الرفاعي :

«استأجرت داراً صغيرة في حارة الباب قرب مصعد جبل الكعبة بمكة المكرمة . وعلمت أن فضيلته يسكن مع صديقه الحميم ، زميله ، وصديق عمره ، ورفيق دربه وعديله الأستاذ الباحث «أحمد علي أسد الله» حفظه الله .

كانت داره بعد داري ببيت واحد .. أي لم يكن يفصل بين دارينا إلا دار صغيرة .

كانت داره كبيرة متعددة الأدوار .. وكان أيامها يعمل مديراً لمدرسة

الأمراء . فلم يكن يشغل هذه الدار إلا فترات قصيرة من العام .. أما في العطلات المدرسية أو حينما كان الملك عبد العزيز يقدم إلى الحجاز . وكان قدومه غالباً ما يكون في موسم الحج ..

كنت أعرف مكانة شيخنا العلمية .. وأعلم تاريخه المجيد في التعليم .

بل لقد علمت شيئا مهما جدا بالنسبة لي .. هو أن هذه الدار الكبيرة كان شيخنا يخصص (مقعدها) في الدور الأول لاستقبالاته ، والالتقاء بأصدقائه العديدين .. وكان يخصص وقت العصر ، أو بعيد المغرب أحياناً لاستقبال هؤلاء الأصدقاء .. وكانوا في معظمهم رجالاً بارزين في حقل التعليم ، والعلم ، ومنهم الأدباء والعلماء .

وسعيت إلى أن أتعرف على الشيخ .. خاصة .. وقد تاقت نفسي إلى حضور مجالسه العلمية والأدبية ..

كنت آنذاك فتى في حوالي الثامنة عشرة من عمري .. أبدأ مشوار حياتي العملية .. وأحاول أن اقتحم درب المستقبل .. فلَمْلَمْت أطراف شجاعتي .. والتمست الطريق إلى داره .. وكانت على سفح جبل يصعد إليها بدرجات قبل أن يأخذ القادم عتبتها الأولى ..

ودلفت إلى المقعد مهتاباً متردداً حتى وجدت نفسي في المقعد المنشود .. لم أكن في حاجة إلى من يدلني على الشيخ .. فأنا أعرف شخصيته من بعد ، فهو طوال ، متين البنيان ، سمح الملامح في سمرة .. استقبلني ببشاشة .. وأدركت أن هناك معلومات ما سبقتني إليه .. فقد أحسن الترحيب بي .. وكأنه يعرفني من عهد بعيد .. ولم أكن أستبعد أن نكون التقينا في ذلك الزقاق الضيق الذي كان وسيلتنا الوحيدة إلى دور أربعة .. منها داره وداري ، فتبادلنا السلام ، كما تفعل الجيرة .. ولكني لم أكن أتوقع أنه كان يعلم عني شيئاً .. ولم أكن على شيء .. ولكني كنت في هذه الفترة أحاول أن أروّض قلمي على الكتابة .. وأن تكون تمارينه الأولى منشورة في جريدة (البلاد السعودية) .. فلعل المعلومات التي تكونت لديه

لا تعدو أن تكون شذرات عن حياة شاب ناشىء (يكتب في الجريدة) .

لقد بالغ الشيخ في الترحيب بي .. وعرفت في مجلسه المبارك الصديق الأستاذ (أحمد علي) والصديق الأستاذ (حامد أسد الله) والصديق الأستاذ (عبدالله المزروع) .. ثم اتسعت دائرة من كنت ألتقي بهم في ناديه .. وكانوا كلهم من خيرة الرجال أدباً وعلماً .. كانوا يمثلون الصفوة حقاً .. كان فيهم الشيخ عبدالرزاق حمزة ، والشيخ حمد الجاسر والشيخ عبدالقدوس الأنصاري والشيخ عبدالله المسعري والشيخ محمد سعيد العامودي .. ولن أحاول هنا أن أحصر الأسماء التي كانت تتردد على مجلسه .. ولكني أكتفي بإيراد ما يتبادر إلى الذاكرة منهم .. وكثير من أصحاب هذه الأسماء قد صار إلى رحمة ربه .. أما من بقي من أصحابها فإني أسأل الله له العافية وطول البقاء .

كانت حفاوة شيخنا ، وهذا المجلس الحافل ، وما وجدت فيه من علم وأدب ، وحوار وكتب ، كل ذلك شجعني على أن أرتاد هذا النادي وأن لا أملّ التردد عليه ، كلما وجدت إلى ذلك سبيلا .. ولم يكن في هذه الجلسات المباركة من عيب إلا عدم انتظامها ، فإن هذه السوق الأدبية الممتازة لا تقام إلا بوجود صاحبها في مكة المكرمة ، وهو وجود قليل ..» .

وهنا نسأل الأستاذ الرفاعي إن كان قد تتلمذ على فضيلة الشيخ عبدالله خياط ؟ أو سافر معه ؟. فقال :

«بالمعنى الضيق للتلمذة لم أحصل على هذا الشرف .. ففي الوقت الذي كان فيه شيخنا مديراً للمدرسة الفيصلية بالشبيكة (برحة المحجوب) كنت في مقاعد الدرس في المدرسة العزيزية للابتدائية بحي الشامية .. ولذلك لم أحظ بتلك التلمذة ..

ولكنني تتلمذت عليه بالمعنى الواسع ، عن طريق لقاءاتي المتعددة به ، ثم ما انعقد بيننا بعد ذلك من صداقة وثيقة .

كنت أستفيد من تعليقاته وعلمه وحواره ، وإن كان الشيخ قليل الحوار بل لا يميل إلى المناقشة إذا رآها ستنقلب إلى جدل عقيم ، فهو من طبعه يتجنب الإثارة .. ويحب الرفق في أمره كله ..

واستفدت من الشيخ عن طريق إطلاعي على كتاباته .. وكان بعضها فيما بعد يصل عن طريقي إلى من توثقت بهم صداقاتي من رؤساء تحرير الصحف ، بعد أن تعددت واتسع نطاقها .. وأصبح لي عندها شيء من الجاه ..

وكان لي في هذا الاطلاع نوع من التلمذة .

وهناك نوع آخر كان يشاركني فيه جمهور كبير من الناس وهو الاستفادة من خطبه المنبرية في المسجد الحرام بعد أن أصبح إماماً له ، وقد جمع الله له ميزات قلما تجتمع لسواه ، أولها حفظه المتقن للقرآن الكريم الذي لم يكن يمل ترداده ليل نهار ، وصوته الرخيم الجميل المميز ، وطريقة القائه وقراءته وهما أيضا ميزتان لا ينكرهما سمع .. وكانت خطبه تمتاز أيضا بأسلوب أدبي رائع يمثل لقاء فريدا ، بين الأسلوب العربي المبين وبين تعابير الثقافة الحديثة ، فإن الشيخ حفظه الله ، تأثر بما قرأ للأدباء الكبار في المجلات المصرية الرائدة مثل مجلة الرسالة كما قرأ لكبار الأدباء المصريين .

«لقد كان نشاطه العلمي والثقافي المتعدد ، مجالاً واسعاً للاستفادة من علمه وأدبه وقد وجدت في هذا الميدان فرصاً للتلمذة على علمه وفضله وفكره النير المتزن المعتدل ، وقد كان اعتدال شيخنا أكبر مميزاته ، وكان هذا الاعتدال يحببه إلى جيلنا ، ولذلك كانت شخصيته محببة إلى نفوسنا ، فكنا نحرص على استكثار اللقاء به» .

وأضاف الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي أن تلاوة الشيخ عبدالله خياط لكتاب الله تتميز بالعذوبة والاتقان مما وهبه ربه تبارك وتعالى . وقال إن الشيخ متعدد الميزات أعطاه الله بسطة في العلم والجسم واستقامة في

الخلق والخلق ووهبه الفكر النير والكلمة الناصعة والخطابة الرائقة والاطلاع الواسع والعشرة الهانئة» .

ولا أرى إلا أن هذه التلمذة في معناها الواسع قد انعكست على الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي فعندما كان في الرياض كان له مجلس أسبوعي كل خميس ، وللأسف لم يسعفني الحظ بحضوره أثناء زياراتي القصيرة إلى الرياض قبل سنوات .

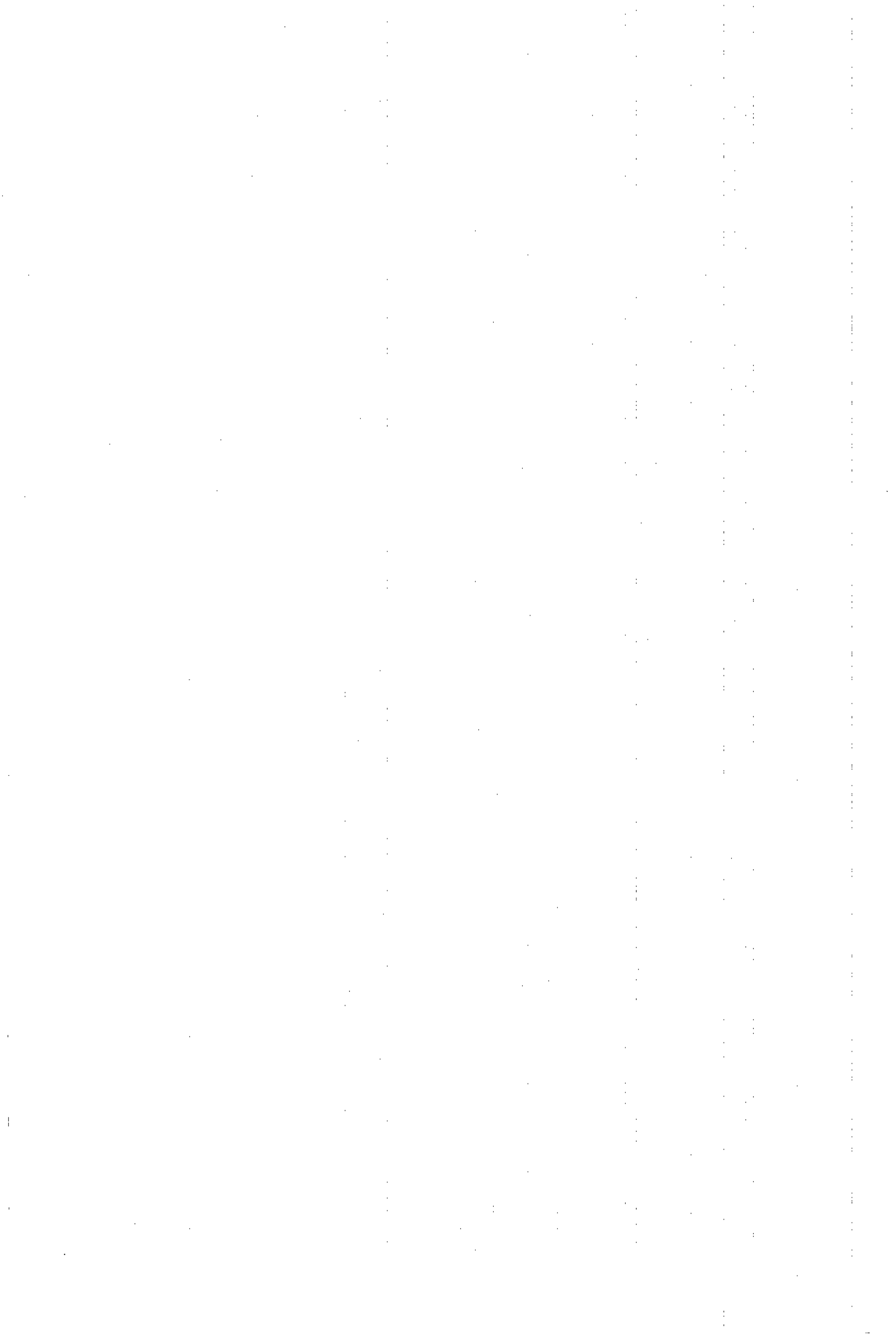
وعندما عاد الشيخ عبدالله خياط إلى مكة المكرمة عام ١٣٧٣هـ ليستقر عمله هناك ، استقر المقام بالأستاذ الرفاعي في الرياض .

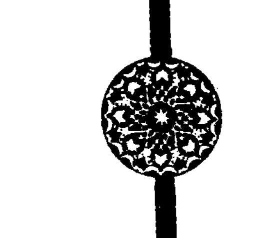
وسألت الأستاذ الرفاعي إن كان قد سافر مع الشيخ عبدالله خياط فقال : أما عن السفر معه فلم يكن لي هذا الشرف ، فعندما كان كثير السفر إلى الرياض .. كنت أنا مستقرا في مكة المكرمة لا أكاد أبرحها . وعندما استقر هو في مكة ، إماماً للمسجد الحرام ، كنت قد أخذت في التردد على الرياض حيث كان عملي» . انتهى .

وكنت أقصد بالسفر هو اللقاء في ماليزيا ، مع التعميم لغرض إن كان هناك سفرات أخرى مشتركة . ولكن التعميم أبهم السؤال ، لذلك لم يشر الأستاذ الرفاعي إلى اللقاء في ماليزيا .

وقد قال الشيخ عبدالله خياط في كتابه لمحات من الماضي عن هذا اللقاء مايلي :

«سيادة الأخ عبدالعزيز الرفاعي إنه صديق قديم وجار من خيرة الجيران في عهد من العهود ، ولست في حاجة إلى أن أترجم لسيادته فهو قمة الأدباء ومن عداد الشخصيات المرموقة ، كنت كما سبق أن ذكرت متضايقا من الحفلات الرسمية وكنت على أحر من الجمر لترقب العودة وإذ بالأخ الصديق يتصل بي هاتفيا يوم ٢ / ٥ / ٨٥هـ فكأنه نزل عليّ من السماء ...» .





- ١٤ -

الخطيب بالمسجد الحرام

كتب هذا الفصل الشيخ عبد الله خياط ، بل أذاعه يوم جمعة من منبر المسجد الحرام بمكة المكرمة في ١٥/١/١٣٨٣هـ فاستمع إلى صوته يقول في أقدس بقعة داخل أم القرى ينادي عباد الله في بيت الله في خطبة الجمعة الأولى والثانية :

«الحمدلله ، بدد بنور العلم ظلمات الجهل الحالكة ، أحمده سبحانه ، جعل العلم طريقاً إلى العزة والسعادة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، رسول الهدى ، وبحر العلوم الزاخرة . اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

«أما بعد ، فيا عباد الله ، أشرف ما تنافس فيه المتنافسون ، وأفضل ما بذلت فيه الجهود ، طلب العلم النافع ، فهو الروح يمد الجسد بالحيوية ، وهو النور الوضاء ، يبدد ظلمات الجهل ، ويهدي إلى السبيل ، كما قال تعالى ﴿أفمن كان ميتاً فأحييناه ، وجعلنا له نورًا يمشى به فى الناس ، كمن مثله فى الظلمات ، ليس بخارج منها﴾ ؟

«وقال تعالى في الإشادة بالعلماء وتفضيلهم على من سواهم ﴿هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ . وقال رسول الله ﷺ : «الدنيا ملعونة ، ملعون من فيها ، إلا ذكر الله وما والاه ، وعالم ومتعلم» . والعلم النافع ، ياعباد الله ، يشمل علوم الدين والدنيا معا ، إذ أن في علوم الدنيا التي اقتضت حكمة الله عمارتها ، ما يكون في الأخذ بطرف منه رفع مستوى الأمة حيث يجوب أفرادها آفاقاً من المعرفة ، أضحت من الضروريات ، وما تتطلبه الحياة ، فكما تحتاج الأمة إلى

الوعّاظ والقضاة وأهل الحسبة ، تتطلب الطبيب الحاذق ، والمهندس البارع ، والباحث في طبقات الأرض ، وغيرهم ممن لا ينتظم أمر المجموع إلا بهم . غير أن ما ورد في القرآن والسنة من فضل العلم ، إنما يعني العلم الشرعي ، الذي يرسم طريق السعادة في حياة الخلود ، كما قال رسول الله ﷺ : «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» . وقال : «نضرّ الله امرءًا سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه» .

«وإن مما يحز في نفس كل مسلم ، غيور على دينه ، انصراف الأكثرين عن هذا العلم الشرعي ، الذي به حياة القلوب ، والذي يترتب عليه معرفة الأحكام الشرعية وبيان الحلال والحرام ، بالإضافة إلى أثره في التهذيب النفسي ، والسمو الروحي ، وما ذاك الا للنظرة المادية ، التي طغت على النفوس ، وللحرص على تأمين المستقبل بزعمهم ، ولأنهم لمسوا أن التقدير المالي والأدبي أصبح مقصوراً على حملة المؤهلات العالية في العلوم الحديثة . أما علوم الدين ، ومن يصرف فيها الجهود المضنية من العلماء ، بحثاً وتعليما ، وتفريعا وتوجيها ، فليس له في دنيا الناس إلا النظرة الساخرة ، وإلا الرمي بالجمود والرجعية ، والأفكار القديمة ، وأنه صاحب الثقافة الصفراء ، التي لم يعد لها رواج ، أو لا تلائم العصر الحديث ، وكان نتيجة ذلك انصراف الأكثرين عن علوم الدين ، حتى أضحى البلد في أزمة من العلماء ، وفي أزمة من المدرسين ، والوعاظ ، والمرشدين ، والقضاة اللامعين ، وسوف يأتي اليوم الذي تلحق فيه البقية الباقية من العلماء بربهم ، ثم تكون المأساة المروعة ، وهي ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ حيث يقول : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا» .

«وإنها يا عباد الله مأساة مخيفة ، ومشكلة تتطلب المبادرة بالحلول العاجلة ، لقد عهد الناس علماء تضرب إليهم أكباد الابل ، للأخذ عنهم ، ولالتماس الهدى في إرشادهم وتوجيههم ، وعهد الناس حفّاظاً للقرآن ، لهم دوي بالتلاوة ، وكان غاية أمل الآباء ، أن يتقدم أبناؤهم الصفوف ، أئمة ومرشدين ، ومعلمين للخير . أفلا يجدر بالخلف ، أن يعض على بنان الندم ، أسى وحسرة على التراث المضاع ؟ وأن المسؤولية ـ ياعباد الله ـ في ضياعه تقع على المجموع لا على فرد ، أو طائفة دون أخرى ، فالنور حق للجميع ، وعلى الجميع أن يجتهدوا في المطالبة بإعادته ، ورأس مال المسلم ـ ياعباد الله ـ دينه ، ولا طريق إلى التعرف إليه إلا بمعرفة علوم الدين ، والتمرس فيها ولا حياة لأمة ولا سعادة أو فلاح إلا إذا عنيت برأس مالها فنمَّته وحافظت عليه ، وطالبت أن يكون في طليعة ما يعني به من أمور الإصلاح ، يجب أن تكون العناية بدروس الدين شاملة كاملة ، لا في المدارس فحسب ، بل وفي مساجد المملكة ، ويجب أن يعود نظام الحلق في المساجد فكم أخرجت حلق الدروس في المساجد من علماء كانوا ولا يزالون ، نجوم هداية ، تتألق في المجموع ، ويجب الاستعانة بعلماء الأمصار ، المشهود لهم بالاستقلال في الرأي والفهم والتحقيق ، كما يجب أن يلاحظ في تنظيم الدروس التنظيم والتداول ، لضمان الأخذ بأوفر نصيب من العلم الشرعي ، إلى جانب ذلك بعث البعوث للتخصص في الفقه الإسلامي ، وعلوم الكتاب والسنة ، فكما نبعث البعوث للجامعات الثقافية العصرية ، يجب أن تبعث أيضا للتشبع من الثقافة الدينية ، وبهذا وحده يمكن تدارك الخطر الداهم وتلافي الخلل ، ويعود لهذه المملكة السعيدة مركزها العلمي ، الذي كانت تحتله بالأمس ، وتصبح مركزاً للاشعاع في الحاضر كما كانت في الماضي ، ويزول عنها شبح الافلاس والركود العلمي .

«فاتقوا الله عباد الله ، واهتبلوا الفرص لنشر الوعي الديني بين المجموع ، فإن لليوم ما بعده ، وإن ضعف الثقافة الدينية ، وعدم الإقبال على تعلم العلوم الشرعية ، نهايته الانسلاخ ، والتحلل والافلاس ، ويا لخسارة من كان إفلاسه في دينه ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم : والعصر ، إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

«الحمدلله يهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله / صاحب النهج القويم والخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

«أما بعد ، فيا عباد الله ، صح عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال في حديث طويل : «من سلك طريقاً يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة» و«إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» . وفي ذلك ياعباد الله حفز للهمم لاستباق ميادين العلم الشرعي ، فيالسعادة من أخذ به ففاز بالربح العظيم .

المرجع

الخطب في المسجد الحرام / مواعظ دينية / خلقية / اجتماعية .

الحلقة الرابعة

(مكتبة السيد محمد المؤيد ـ الطائف)




- ١٥ -

مَقامات

يا كُمَيل بنَ زيَادٍ ، إنَّ هذِهِ القُلُوبَ أوعيةٌ ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا ، فَٱحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ :

النَّاسُ ثَلَاثَةٌ : فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ ، يَميلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ ، لَم يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ العِلْمِ ، وَلَمْ يَلْجَأُوْا إلىٰ رُكْنٍ وَثِيقْ .

يَا كُمَيْلُ ،

ٱلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ ٱلْمَال ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وأَنْتَ تَحْرُسُ ٱلْمَالَ ، وَٱلْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ ، وَٱلعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الإنْفَاقِ وَصَنِيعُ ٱلْمَالُ يَزُولُ بِزَوَالِهِ .

يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ ،

مَعْرِفَةُ العِلْمِ دَيْنٌ يُدَانُ بِهِ ، بِهِ يَكْسِبُ ٱلإنْسَانُ ٱلطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ ، وَجَمِيلَ الأحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ . وَٱلْعِلْمُ حَاكِمٌ ، وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ .

يا كُمَيْلُ ،

هَلَكَ خُزَّانُ ٱلأمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ، وَٱلْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَابَقِيَ الدَّهْرُ : أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي القُلُوبِ مَوْجُودَةٌ ...

اللَّهُمَّ بَلَى ! لَا تَخْلُو ٱلأرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ ، إمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا وإمَّا خَائِفًا مَغْمُورًا ، لِئَلَّا تَبْطُلْ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتِهِ . وَكَمْ ذَا وَأَين أُولَئِكَ ؟

أُوْلَئِكَ ـ وَاللَّه ـ ٱلأَقَلُّونَ عَدَدًا ، وَٱلأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا ، يَحْفَظُ ٱللَّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ . حَتَّى يُوْدِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ . هَجَمَ بِهِمْ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ ، وَبَاشَرُوا رُوْحَ الْيَقِينِ وَٱسْتَلاَنُوا مَا ٱسْتَعْوَرَهُ الْمُتْرَفُونَ ، وَأَنِسُوا بِمَا ٱسْتَوْحَشَ مِنْهُ ٱلْجَاهِلُونَ ، وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الأَعْلَى . أُوْلَئِكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، والدُّعَاةِ إلى دِينِهِ آهِ آهِ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِمْ !

هذا من كلام الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ، الذي أحبه عبدالله خياط وكتب عنه عدة مقالات ، وكان متأثرًا بكلامه معجباً بفعاله ، والمرء مع من أحب . وقد قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه :
«لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» . وكان الإمام إماماً في الزاهدين ، وإماماً في الفصاحة ، وإماماً في الخلق الكريم ، وإماماً في الحزم والشجاعة .

ولقد رأينا عبدالله خياط في زهده ، وفي رفضه للمكافآت ، وفي خطبه في المسجد الحرام التي نشر منها ما يبلغ ألف صفحة ، وهي لعمري جديرة بالتأمل والمطالعة والمدارسة . فلقد احتار هذا الكاتب في اختيار إحدى الخطب فكلها جميل ، وكلها مؤثر ، وقرر أخيرًا أن ينتقي ماله علاقة بالعلم ، وبحلقات العلم في المسجد الحرام وهي منشورة في الفصل السالف .

وقد قال ﷺ : «إنما بُعثت معلماً» وقال عن الإمام علي «أنا مدينة العلم وعلي بابها» . وعبدالله خياط تقلب بين طلب العلم وتعليم الناس في المدارس وفي المساجد ، وأهم ذلك المسجد الحرام . فهو في زمرة معلمي الناس الخير ، والخلق ، والعفة عن المال الحرام وعن الشبهات .

وأنت تستطيع باطمئنان أن تقول إن عبد الله خياط قد حج ستين سنة بل أكثر مادام من أهل مكة ، وفي مقدمة أهل هذه البلدة التي كان إماماً لمسجدها الحرام ثلاثين عاماً ، وحتى عندما كان في الرياض ، كان يقضي موسم الحج في الحجاز .

وقد أدركه من أعرف يقضي فترة مابين العشاءين في المسجد الحرام عدة سنوات لا يشتغل فيها بغير العبادة والذكر .

ورأينا من كلام ولده أنه يصحو قبل الفجر ، حتى إذا صلى الفجر قرأ ماتيسر من كتاب الله .

وأن الرجل بفضل الله قد عاش كريم الخلق عفيف اللسان واجتمع له كرم الشمائل مع كرم اليد كما رأينا شهادة جاره الأستاذ عبد العزيز الرفاعي ، فهو لايزال عافاه الله يترقى من كرم إلى كرم ، ومن فضل إلى فضل ومن شكر إلى شكر .. والإنسان في هذه الدنيا عبارة عن مقامات قال تعالى ﴿وخلقناكم أطوارا﴾ .. ولكن المقامات المعنوية أعظم .. فالمسلم يبدأ بالإسلام ثم يترقى إلى الإيمان ثم يترقى إلى الإحسان ثم يترقى إلى التقوى ثم يترقى إلى الشكر ، وهو أعلى المقامات . قال تعالى :

﴿اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور﴾ .

لذلك ضرب بعض العلماء لهذه المقامات أمثلة وإيضاحات فقالوا إن أول واجب على الانسان معرفة الإله باستيقان .. فالمعرفة أولى الدرجات . فإذا تحقق العلم وجب العمل .

وكل من بغير علم يعمل أعماله مردودة لا تُقْبلُ

ثم إذا عمل الإنسان في عبادة ربه واجتهد في ذلك تحققت له الثمرة .. ثمرة العلم والعمل وهي الولاية لله تعالى .. إذا صدقت النيات ، وابتعد عن المال الحرام .

يقول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه «ولايزال عبدي يتقرب إليّ

بالنوافل حتى أحبه» بعد أن ذكر أن القرب إلى الله يكون بالفرائض أولا .

فثمرة العلم والعمل محبة الله سبحانه وولاية الله سبحانه وكفى بذلك مقاماً .. وقد شبه بعض العلماء ذلك بالحليب والسمن فقالوا :

إن الحليب يمر بمراحل معينة حتى يصبح «زبدة» ثم يتم تحويل الزبدة إلى «سمن» في رحلة معينة .. والسمن هو خلاصة الحليب .. أو هو خلاصة خلاصة الحليب .. ومحبة الله هي أعظم ما يسعى له الصالحون من عباد الله قال تعالى : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ . وقد ورد في الأثر « ألسنة الخلق أقلام الحق » وله ما يؤيده من الأحاديث الثابتة ، ولسنا نتزلف إلى الرجل ، ونخشى أن نقع في حديث «لقد قصمت ظهر أخيك» بالمديح ولكننا نود إبراز مواقع القدوة .. ونأمل خيرًا .

ولقد تركت البحث الذي كتبه فضيلة الأستاذ المحقق الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان كما هو لترصيع الكتاب بما كتبه هذا العلامة الذي كان أحد تلاميذ الشيخ عبدالله خياط ..

وكان للسيد محسن باروم صاحب دار الشروق ودار عالم المعرفة للنشر حالياً ، ومدير عام التعليم العالي في عام ١٣٨٤هـ بوزارة المعارف اتصالاً وثيقا بفضيلة الشيخ عبدالله خياط إبان تعيين فضيلته مستشارًا لوزارة المعارف في مكة . يقول السيد محسن باروم :

«وأشهد أنني كلما طال الزمن وكثر الاحتكاك العملي بفضيلته كلما ازددت فهماً لخلائق هذا العالم الإنسان الفاضل الذي تميز في علاقاته مع الآخرين بمودة ظاهرة ، واحترام متبادل ، وبُعد عن اللغو في القول والمراء في الجدل ، والاثارة في النقاش ، مما يجعله منطقياً ومسترسلاً في دعة وهدوء حتى يتبلور وجه الصواب . الأمر الذي جعلني على مر الزمن ازداد اكبارًا له وتقديراً لخلائقه الانسانية الكريمة ..

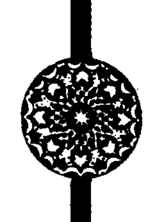
« ولقد أكدت لي هذه اللقاءات العلمية والاتصالات المباشرة مع فضيلة الشيخ عبدالله خياط حرصه الشديد على تقبل كل جديد في مجالي التربية والتوجيه والثقافة والاجتماع لا يتناقض مع مبادىء ديننا الإسلامي الحنيف ومثله العليا وقيمه الحضارية السامية ويعين على النهوض الفكري والتربوي والاجتماعي الملتزم بعاداتنا وتقاليدنا العربية الإسلامية الحميدة .

ومن هنا برزت شخصية الشيخ عبد الله خياط كعالم دين بارز ومفكر إسلامي يهدف إلى رفعة شأن مجتمعه وإصلاح أحوال أمته الإسلامية واستنقاذها من تيارات الغزو الفكري الأجنبي وتحديات الحضارة الغربية الملحدة الهادفة إلى إبعاد المسلمين عن تعاليم عقيدتهم وشريعتهم ومسخ معالم شخصيتهم القوية المتماسكة ليكونوا امساخاً بشرية ذليلة مستضعفة تدين بالولاء والتبعية لمختلف مظاهر هذه الحضارة ونظرياتها وقوالبها التربوية والثقافية والاجتماعية والإعلامية الضالة المنحرفة» .

هذا ما قاله السيد محسن باروم . ونود في ختام هذا البحث أن نؤكد أن شيخنا عبد الله خياط لم يكن معصوماً ، فهو بشر يخطىء ويصيب ، وإذا كان قد أخطأ في أي من تقلب السنين به ، فله في فضل عفو ربه أمل ورجاء ودعاء بأن يغفر الزلات ويتجاوز عن الخطايا ، وأن يتقبل صالح الأعمال ويثقل ميزان الحسنات . وما رأيناه من مناقب عالية في هذا السجل يجعل من الرجل الذي يمثل بقية السلف الصالح قدوة للخلف ، ورجاؤنا أن لا يتخلف أبناؤه وتلاميذه عن خصال الخير ومواقف الهدى وصدق السلوك إلى الله والجدّية ومحاسن الأخلاق وكريم السجايا التي اتصف بها عبد الله خياط .

واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ، يومئـذ لا أنساب بينهم ولا يتساءلون ، يوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .





نماذج من مقالات الشيخ عبدالله خياط

- ٨ -

فضيلة الشيخ سلمان الحمدان

من علماء نجد الذين انتقلوا إلى الحجاز وشغلوا وظائف في الدولة في حقل القضاء والإمامة والتدريس فضيلة الشيخ سلمان الحمدان كان قاضيا في الطائف للمحكمة المستعجلة وخطيبا لمسجد ابن عباس ثم عضوا في هيئة رئاسة القضاء بمكة المكرمة وقاضيا وإماما للمسجد النبوي الشريف وفي فترة إقامته بمكة كانت له حلقة للتدريس في علوم الدين بالمسجد الحرام وكنت أحد الطلبة الذين درسوا عليه كتاب عمدة الأحكام له طريقته في تدريس الحديث وهي قراءة الحديث أولا من أوله لآخره ثم التعليق عليه ثم قراءة شرحه وذكر أقوال العلماء فيه يبسط القول حتى لا يدع مجالا لباحث أن يدلي فيه بدلوه أو يقرر زيادة على ما قرره ـ أبرز أخلاقه صلابته في الحق ونقده بصراحة ودون مجاملة كل ما يعتقد أن فيه مأخذا ولم يدعم بدليل من سنة أو كتاب أو قول الأئمة المتبوعين حدث لي معه موقف نقدني فيه بشدة عندما كنت أؤم المصلين في صلاة الجمعة انتصب لي بعد الصلاة وصارحني بقوله ولهجته ايش فيك كثرت لنا من قول سيدنا في الخطبة ألم يبلغك حديث انس أن ناسا قالوا

يارسول الله ياخيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال يا أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله إياها وقوله ﷺ (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله قلت له جزاك الله خيرا وفضيلته يقصد بذلك أن المواطن التي ورد فيها الصلاة على الرسول ﷺ وعلمها الرسول للصحابة لا يصح فيها زيادة كلمة سيدنا ـ كما في الخطبة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وإلا فهو صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم كما صح عنه انه قال (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) وبمناسبة الكتابة عن فضيلته ولأن الشيء بالشيء يذكر وللافاضة في الحديث عنه أتناول بعض الجوانب في حياته إذ قد امتزجت به كثيراً فأكتب :

ـ أولا : عن اقامته بالحجاز بين مكة والمدينة والطائف أمداً طويلا وفي مناصب تتطلب الامتزاج بالناس والتعرف إلى الكثيرين منهم فكان من أثر ذلك أن تزوج بزوجة من أهل الطائف وعاش في كل بلد أقام بها في الحجاز للعمل أو حتى بعد أن أحيل على التقاعد عاش قرير العين بصحبة خيار الناس والاجتماع بهم أي أنه كان اجتماعياً إلى حد ما .

ـ ثانيا : لم يقدر له أن ينجب وأن يكون له من الولد وصحبته ورعايته وتربيته ما تقر به العين ويبتهج به كزينة في الحياة كما قال تعالى : ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ ولكنه خلّف من أبناء المجموعة وخاصة من يذكره بخير ويدعو له لقاء تعليمه الخير ونصحه وعدله في أقضيته وغيرته الدينية ومحافظته على السمت الإسلامي .

ـ ثالثا : كثيراً ما كانت تطرح عليه الشبه في الدين فلم يعبأ بها بل كان يدحضها ببيانه وقوة حجته المستمدة من الوحيين كتاب الله وسنة رسوله .

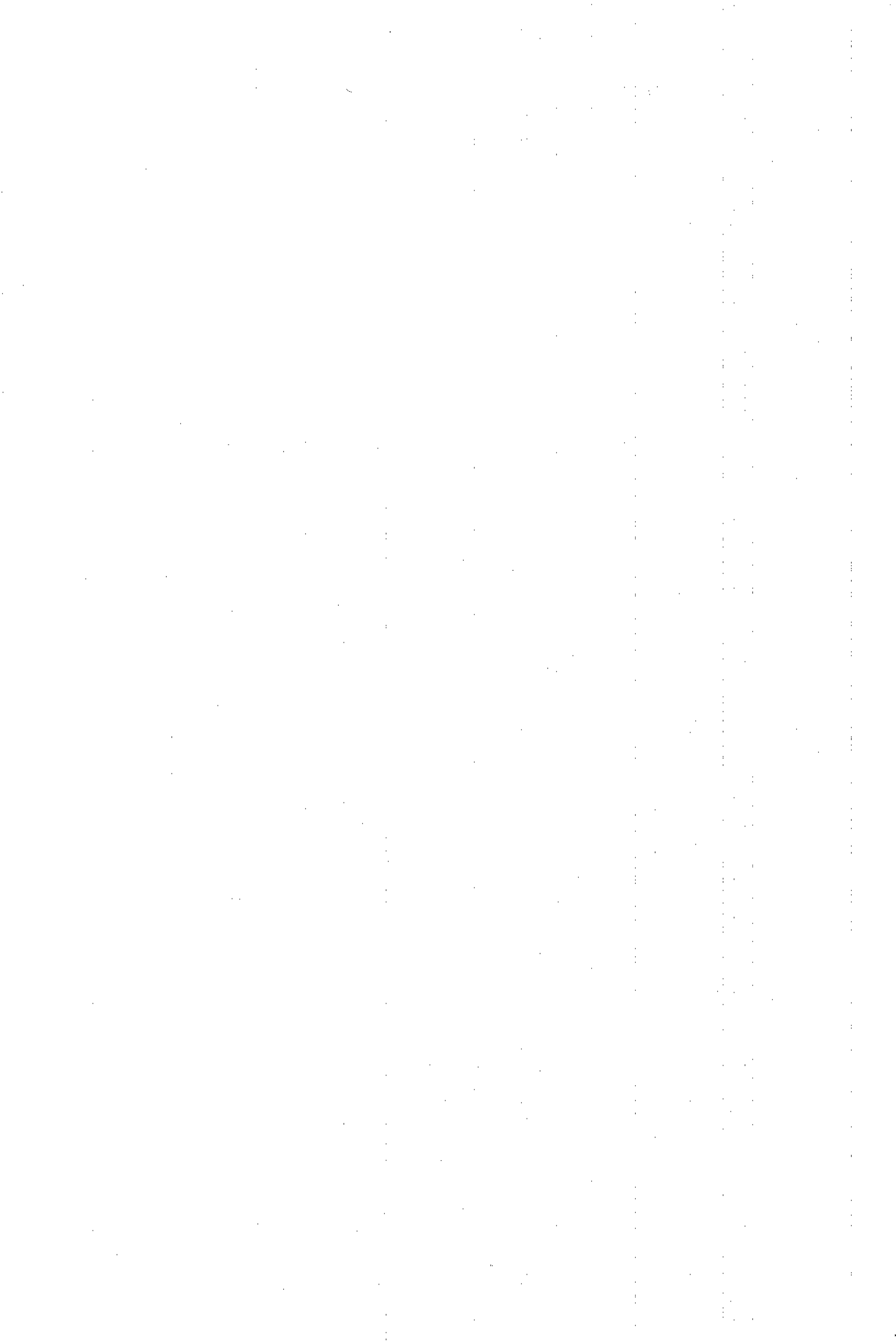
ـ رابعا : عندما انتقل من المدينة إلى مكة أخذ البعض عليه بأنه كان شديدا وغير لبق وكلها مزاعم لا ترتكز على واقع صحيح ـ ترى ماذا يعنون باللباقة ـ أن اللباقة لا تكون إلا في الحق وطريقة ايصاله والتعاون على اقراره والدعوة إليه بكل وسيلة .

ألا ليت الكثير فينا من أمثال شيخنا الحمدان إذن لرجحت كفة الحق وانخفض معيار الباطل .

هذا ولقد بقي لشخصيته في نفسي أثر لا أنساه لخلقه في الصدوع بالحق والشجاعة الأدبية في مقاومة ما يعتقد أن فيه مأخذا وأنه لا ينهض عليه دليل بالإضافة إلى ما أفدته منه في فترة تلمذتي عليه وما برحت أذكر شخصيته المديدة فأدعو له وأترحم عليه وأسأل الله أن يستجيب دعائي له إنه أكرم مسئول .

عكاظ (٦٧٧٧) ١٠ / ٤ / ١٤٠٥هـ
١ / ١ / ١٩٨٥م







لمحات من الماضي

رحلة إلى ماليزيا

الوصول إلى سنغافورة

بقلم فضيلة الشيخ / عبدالله عبدالغني خياط

في يوم ٢٩ / ٤ / ١٣٨٥هـ كنا في سنغافورة بعد رحلة ثلاث عشرة ساعة قضيناها في الجو بين ـ بيروت وسنغافورة هبطت بنا الطائرة خلال هذه الفترة ثلاث مرات الأولى في بمباي والثانية في كولمبو سيلان والثالثة في سنغافورة ولا مندوحة لنا عن استبدال الطائرة بأخرى إذ أن الطائرة الانجليزية التي كنا نركب متنها ـ لا تهبط في كوالا لمبور فكان لزاما استبدالها بأخرى إنجليزية أيضا وهذه الطائرة خاصة ببعض الوفود كوفد السنغال وليبيا والأردن يمثله الشيخ الشنقيطي بالإضافة إلى الركاب الانجليز الذين لا يعرفون اللغة العربية ونحن بدورنا لا نعرف الانجليزية وكانت مشكلة التخاطب على الدوام قائمة والاشارة منا ومنهم غير مفهومة ـ واستمرت مسيرتنا طوال الليل وبلغنا بمباي بعد الاشراق فصلينا الصبح قضاء ثم استأنفنا السير ووصلنا كوالا لمبور قبل أن يدخل وقت الظهر ولم نجد في المطار موضعا يصلح للصلاة حتى إذا ما بلغنا الفندق المعد لنزولنا صلينا الظهر والعصر والمغرب والعشاء واستغفرنا الله سبحانه عن التقصير الذي لم يكن معتمدًا وحمدنا الله أن كان في الدين فسحة ورخصة فلقد صلى الرسول ﷺ يوم الأحزاب

الصلوات جمعا بعد المغرب وقال شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر يعني المشركين وكان الفندق في سنغافورة من أفخم الفنادق كل شيء فيه على الطريقة الافرنجية إلا الطعام فكان على الطريقة الجاوية أرز من غير ملح ولا سمن ومرق مشحون بالفلفل، ثم ذهب كل عضو إلى غرفته المعدة له ولبثت أمداً طويلاً لم يغمض لي جفن فأشغلت الوقت بإعادة النظر في الخطبة التي كنت أعددتها ليوم افتتاح المسجد إذ علمت أن الاحتفال سوف يكون حافلا بالشخصيات البارزة .

جولة في سنغافورة

لقد ضرب لنا القنصل السعودي في سنغافورة السيد ابراهيم السقاف يرحمه الله موعداً في الساعة الثالثة غروبي ليصحبنا في جولة على معالم البلدة ثم نقصد بعدها المطار للذهاب إلى كوالا لمبور .

وفعلا كان ذلك غير انه جدت لدينا مشكلة خراب الطائرة المعدة لركوبنا إلى كوالا لمبور ومضى الوقت سراعا الأمر الذي حملنا على ركوب طائرة من طراز (داكوتا) أخذت ما يزيد عن حمولتها ولذلك كثيرا ما كانت تضطرب في سيرها وكنا نخشى هبوطها على غير نظام وقطعنا المسافة من سنغافورة إلى كوالا لمبور في ساعة ونصف الساعة .

الاستقبال

رغم أن وفد المملكة من الوفود الرسمية المدعوة من قبل حكومة ماليزيا إلا أنه لم يلق مندوبا من الحكومة الماليزية لاستقباله فاستقبلنا القائم بأعمال السفارة السعودية وغيره من آل رفيع ومن موظفي السفارة وأنزلونا في الفندق .

تعديل في برنامج الاحتفال

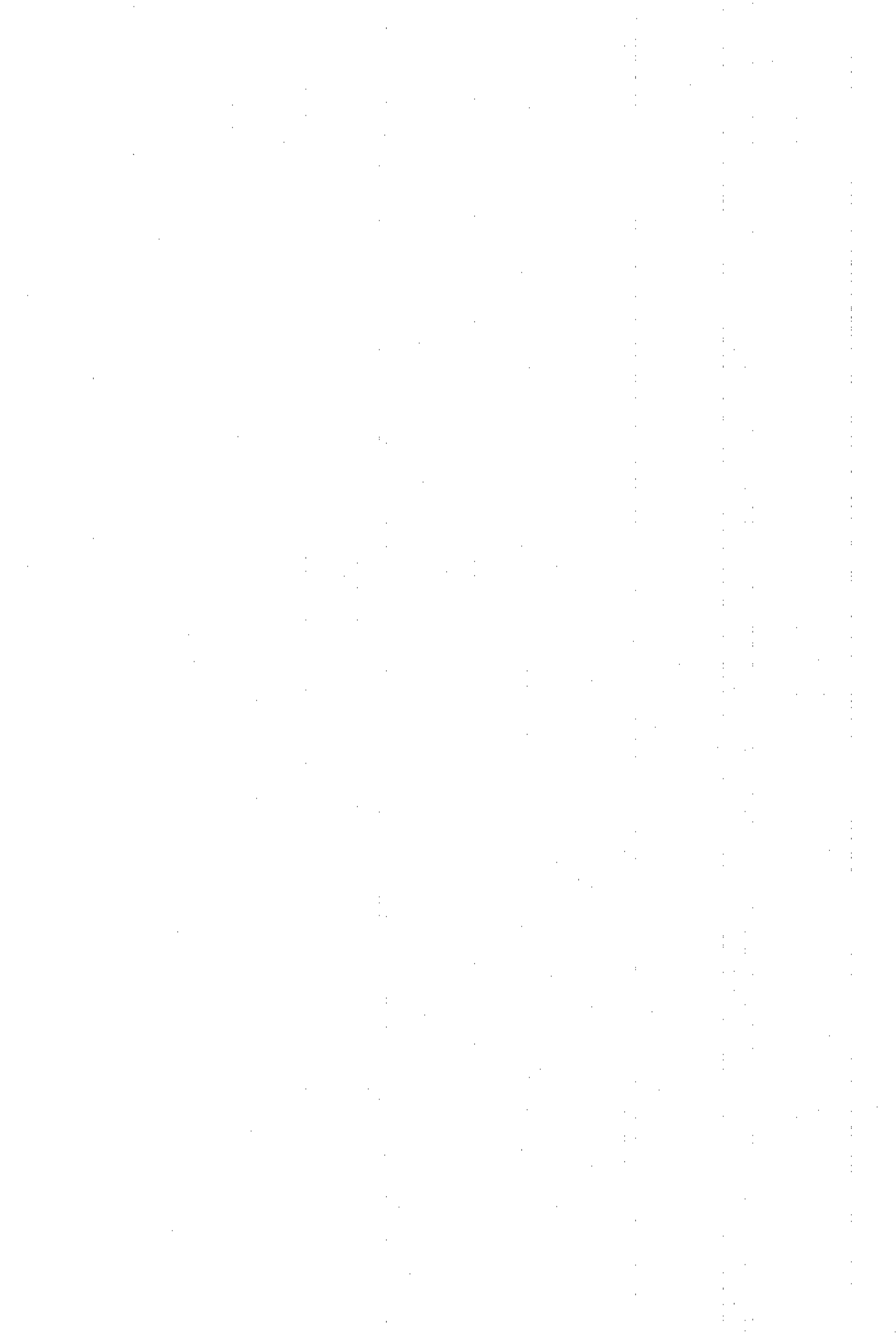
لقد واجهتنا مشكلة تعديل برنامج الاحتفال وتغيير وضع وفد المملكة حيث كان متقررا وحسب رغبة الحكومة الماليزية أن يقوم خطيب المسجد الحرام بأداء خطبة الجمعة ولكن رئيس وزراء ماليزيا لسبب أو لغير سبب

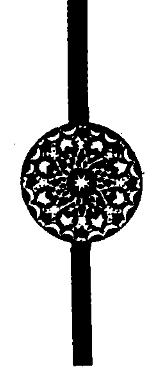
قال إننا لا نرغب أن يتولى خطبة الجمعة إلا أحد المواطنين وعمل فعلا بتنفذ الفكرة حيث استقدم احد القضاة من إحدى البلدان المجاورة للقيام بهذه المهمة وعندما علم معالي امين الرابطة بالخبر احتج وبالغ في الاحتجاج قائلا علام اشترطتم أن يكون مع الوفد خطيب المسجد الحرام ليؤدي ـ الخطبة غير أنه لم يجد لاحتجاجه أذنا صاغية أو قلوبا واعية وعالج الموقف يرحمه الله بما أمكن معالجته وأوجد حلا وافق عليه الماليزيون وهو أن يتولى الخطابة القاضي لانه يخطب باللغتين العربية والماليزية وأتولى إمامة المصلين وقد تقرر أن يكون الذهاب إلى المسجد مبكرا ـ لأن الاحتفال سوف يبدأ قبل الصلاة بفترة طويلة يشغلها المقرىء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد بتلاوة حزب من القرآن ثم يتبارى الخطباء في أداء خطبهم للمناسبة يبدأ بها الملك ورئيس الوزراء .

عكاظ العدد (٦٦٥١) ٢/١٢/١٤٠٤هـ

٢٨/٨/١٩٨٤م







لمحات من الماضي

شخصيات لها أثر في نفسي

فضيلة الشيخ محمد بن عثمان الشاوي

بقلم فضيلة الشيخ / عبدالله عبدالغني خياط

أحد أقطاب علماء نجد الأعلام ـ فقيه لا يشق له غبار خاصة في علوم الشريعة بما في ذلك الفقه الحنبلي ناب عن رئيس رئيس القضاه سماحة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ في فترة تغيب فيهاعن الرياض ونصب مدرسا بالمسجد الحرام فكنت أحد طلبته كما كنت كذلك في المعهد إذ تعين فيه مدرسا ولا تسل عن براعته في توضيح ما أغلق فهمه واستعصى على النابهين من الطلاب إدراكه يقرر الفرائض بأسلوب مبسط ويعرض للأنصبة في الميراث وتوزيع التركات بحسب الاستحقاق شرعا إلى جانب كتب العقيدة والحديث ويتناول المسائل الفقهية العويصة بالشرح في كتاب زاد المستقنع في عبارات جزلة وأسلوب محبب إلى الطلاب ـ إنه كفيف البصر ولكنه قوي الشخصية يهابه الطلاب ـ لو سمع حراكا في أي مقعد من مقاعد الطلبة في الفصل لدعا الطالب باسمه وعاقبه على تشويشه بحرمانه من الدرس وإخراجه من الفصل ـ ولئن تحدثت عن

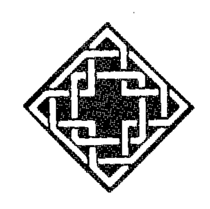
فضيلته من هذه الزاوية التي تركت له في نفسي أثرا فإن لفضيلته جوانب أخرى في مجاله العلمي جديرة بالتسجيل فكم هدى الله بتوجيهاته ونصحه وإخلاصه في دعوته كم هدى الله في ربوع نجد وباديته الكثيرين ممن كانوا صعب المراس لا ينقادون إلا لمن أتاه الله حكمة وبصيرة في الدعوة وأسلوبا في الخطاب يستجلب النافر ويعيد الجامح إلى الجادة عرفت الكثير ممن قدم الحجاز من أبناء البادية فأكبرت سلوكه وأعجبت بمنهجه في الحياة - كان ديدنه الاقبال على حفظ القرآن والاكثار من مجالسة العلماء في المسجد الحرام للافادة من علمهم والاصغاء إلى الموجهين فسألته عن هذا التحول من بدوي جاف غليظ الكبد إلى متحضر ترك الدنيا إلا مما ليس منه بد لقيام الأود وأقبل على ما فيه عمارة آخرته فقال (أطال الله عمر الشيخ ويعني الملك عبد العزيز يرحمه الله فقد أرسل لنا الشيخ الشاوي معلما في هجرنا (هجرنا) بكسر الهاء وفتح الجيم وكسر الراء أي الأماكن التي أسسها الملك عبد العزيز يرحمه الله لاستيطان البادية - وإماماً لنا ودالاً على الخير في كل دروب الخير فالتف حوله الاخوان يدرسون ويستفتون وأقبلوا على الملك الديان وكان ما تراه الآن من إقبالنا على الله وعلى ما فيه صلاحنا - أي أنه كان الشيخ الشاوي داعيا إلى الله على هدى وبصيرة كما أمر الله إذ يقول ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾ وراغبا فيما أعده الله للدعاة إليه كما جاء في الحديث (من دعا إلى هدى كان له له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئا) أخرجه مسلم عن أبي هريرة .

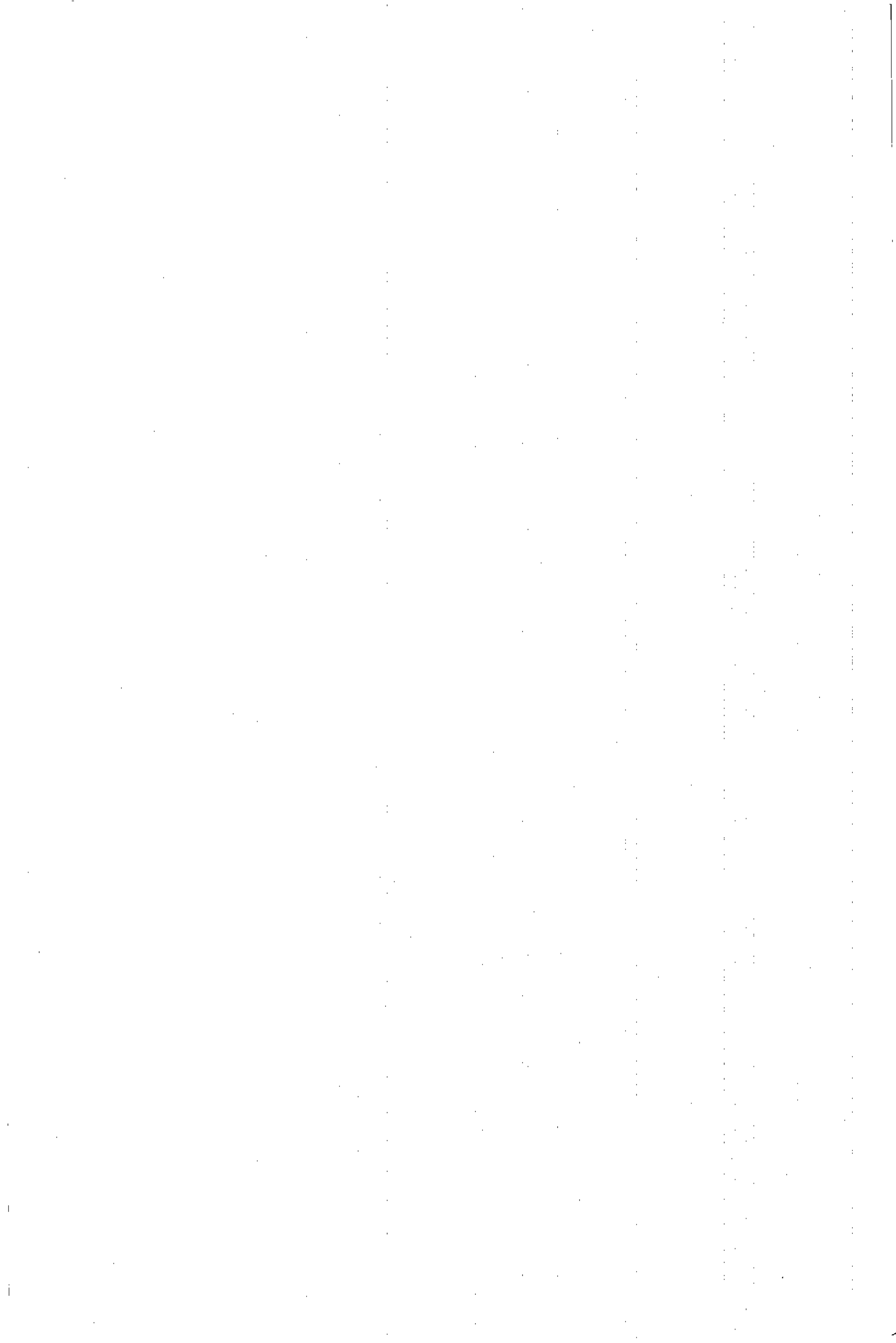
ولمجموعة المزايا التي امتاز بها فضيلته وأخلاق العلماء التي كان يتحلى بها والتي يترجم عنها تواضعه وحلو معشره ترك في نفسي ذلك أثرا حبب إليّ شخصيته . ولقد مضى على وفاته يرحمه الله ردح من الزمان ولا أزال أراه وكأنه أمامي وفي حلقة الدرس يفيض عليّ من واسع علمه يرحمه الله ..

إيضـــــاح

في هذه المجموعة من الشخصيات التي كان لها أثرها في نفسي لن أراعي في كتابتها ترتيبا معينا نظرا لعدم اسعاف الذاكرة فقد مضى على هذه الشخصيات أمد طويل وقد يتقدم في الكتابة المتأخر أو العكس وقد يلاحظ فيها خلط بين الشخصيات العلمية والادارية فالغرض هو التحدث عن الشخصيات لا عن ترتيب وضعها أو مكانتها والمقصود منها أيضا الفترة التي عاصرت فيها هذه الشخصيات أو العمل الذي زاملتها فيه أو عشت في رحابها فليضع القارىء الكريم ذلك في حسابه ..

عكاظ - في ١٩/٣/١٤٠٥هـ





عن كتاب (تأملات في دروب الحق والباطل)
تأليف : عبدالله عبدالغني خياط

أثر تربية المسجد

عمارة المسجد كانت ضربا من التربية التي ربّى بها رسول الله ﷺ جيلا هو نواة للمجتمع الصالح الراشد ، فلقد كان المسجد مسجد رسول الله ﷺ هو المدرسة الثانية للإسلام التي أخرجت أساتذة العالم ، وأئمة الهدى والدعاة إلى الخير وأساطين العلم وقادة الفكر ، كان في صُفَّة المسجد جمع من الصحابة رضوان الله عليهم فرغوا أنفسهم لتلقي كل ما ينزل من الوحي قرآنا ، وكل ما يصدر عن سيد الأنام ﷺ من تعاليم ، لم تفتهم شاردة أو واردة ، إلا أحصوها وحملوها للناس هديا يهتدون به وإشعاعا ينير لهم ما أدلهم من الطرق ، وكانوا يصحبون الرسول الكريم ﷺ في سفره ويتقدمون الجيش في الغزو إلى لقاء العدو فلم تكن الصلاة وحدها الهدف من عمارة المسجد ، وإن كانت أبرز أهدافه وهي المقصودة بادىء ذي بدء من عمارته بل كان إلى جانبها التربية والتقييم ومعالجة القضايا الإسلامية وبعث الجيوش كما وصف هذا الواقع أحد العلماء الذين عنوا بالكتابة في البحوث الإسلامية وأهداف الإسلام فقال : (اتخذ الرسول ﷺ من المسجد مركزا للدعوة يصلي فيه بالمسلمين ويبلغ فيه ما أنزل الله إليه من ربه ويلقى فيه الوفود ويعقد مجالس العلم والمشاورة) .

ولم يكن أصحاب الصُّفَّة وحدهم أبناء مدرسة النبوة بل كان كل من رباه الرسول ﷺ على عينه ، وكان له شرف المثول بين يديه ومشاهدة أنواره كان من أبناء مدرسته الذين فتحوا العالم ومصروا الأمصار

وكانوا كما أسلفنا القول أئمة في الدين ودعاة إلى الخير وأساطين في العلم وقادة في الرأي ، ولهذا نجح المسجد أيما نجاح في تأدية رسالته فكان إلى جانب عمارته بأداء الصلوات ملتقى المؤمنين ومركزا للعلم ومعقلا للدعوة ومجلسا للندوة ، ومنطلقا للفتوح . فما هو أثر هذه التربية للمسجد في نفسيات أبناء مدرسة النبوة ؟ تستجلي ذلك من الواقع التاريخي حيث يحدثنا عن موقف ربعي بن عامر رضي الله عنه أمام قائد الفرس في بعض الفتوحات الإسلامية سأله القائد قائلا : ماجاء بكم إلينا ؟

فقال معتدا بتربيته الإسلامية معتزا بصلته بربه (ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام) .

ويحدثنا أيضا أي الواقع التاريخي عن أعرابي هاجر إلى رسول الله ﷺ وانضم إلى أصحابه فلما كانت غزوة خيبر قسم رسول الله ﷺ للأعرابي من الغنيمة فقال : ماهذا يارسول الله ؟ قال : قسم قسمته لك من الغنيمة فقال له الأعرابي : ما على هذا اتبعتك ولكن اتبعتك على أن أُرمى بسهم فأموت فأدخل الجنة . ومن هذين المثلين يظهر أثر المسجد وتربيته لأبناء مدرسة النبوة إذ كان المسجد كل شيء أخرج جيلا ، وأنشأ أمة كانت كما وصفها رب العزة : ﴿خير أمة أخرجت للناس﴾ .

ومثل ثالث نردفه بالمثلين يوحي بمدى شعور هذا الجيل بتربية المسجد وبرقابة الله في الخلوة والجلوة فيحرص أشد الحرص أن يبلغ رضاه وأن يبتعد عن كل ما نهاه في فتوح المدائن وعندما أخذ المسلمون يجمعون الغنائم أقبل أحدهم بوعاء قال عنه أمين الأقباض : ما رأينا مثل هذا قط وما يعدله ما عندنا ولا يقاربه أي لنفاسته وندرته فسألوا . من جاء به هل أخذ منه شيئا فقال والله لولا الله ما أتيتكم به فعرفوا أن للرجل شأنا فسألوه من أنت قال ـ لا أحدثكم لتحمدوني ولكن أحمد الله وأرضى بثوابه .

يقول بعض المؤرخين تعليقا على هذه القصة ، امتلأت قلوبهم إيمانا وهانت في أعينهم كل قيم الحياة الزائفة حتى ولو كانت قيمة الملك وزخارف الملوك لأنهم عرفوا قيمة الإيمان بالله والصلة به وآمنوا بضلال كل ماقام في الحياة على غير هذا الأساس .

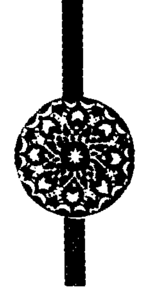
أولئكم أبناء مدرسة النبوة خريجو المسجد فأين منهم أبناء الجامعات في أعقاب الزمن وخريجو الفلسفات ؟ الجواب عن ذلك نستمع إليه مما سطره بعض المربين يشرح به الواقع المرير لبعض من ملأوا الدنيا صخبا بمؤهلاتهم وتعالوا على الناس بانتسابهم إلى جامعات الغرب نستمع إليه وهو يقارن بين تربية المسجد وبين تربية الجامعات أو بعضها في العصر الحديث . فيقول : لقد نجحت تربيته ﷺ نجاحا ليس له في تاريخ البشر مثيل ووصل بمجتمع المدينة في واقع الحياة إلى غاية من الرفعة لم يبلغها الفلاسفة والمفكرون ، ولقد تطورت مناهج التربية في العصر الحديث تطورا كبيرا وتعددت أساليبها وكثرت وسائلها وأسست لها المعاهد وهيئت لها كل أسباب النجاح ورغم ذلك مازالت المجتمعات الحديثة تعاني من التحلل مما ينذر بشر مستطير .

ذلك لأن العلم مهما تعددت الوسائل إليه واتسعت أبعاده لا يكفي في السمو بالمجتمع إلى آفاق يتعالى فيها عن المآخذ والهنات بل لابد من تربيته وفق المنهج النبوي الذي خططه قدوة المربين وسيد الثقلين ﷺ عن وحي يوحي به إليه أحكم الحاكمين . وعن خلق كان من شأنه ﷺ أن يركز عليه ويوجد إليه فمتى اجتمع الخلق والعلم نجحت التربية وآتى العلم ثماره سواء كانت في المسجد أو الجامعة وتكون المجتمع الراشد المسدد الصالح المصلح ، بقيت كلمة عن اشتغال السلف بالقرآن فيما نقله الإمام الأوزاعي من منهجهم ، ولن نطيل في ذلك فلقد كانت أوقاتهم أبدا معمورة بتلاوته في النهار والقيام به في الليل ، وخاصة في الأيام والليالي

المفضلة ، أصدق ما يصور واقعهم في ذلك قول رب العزة : ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون﴾ .

وكانت تلاوتهم للقرآن عن وعي وتدبر وعمل بما يقرأون . وصف الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه واقع قارىء القرآن وهو إنما يحكي واقعا لمسه في أبناء مدرسة النبوة ، قال : قارىء القرآن يعرف بليله إذ الناس نائمون ونهاره إذ الناس يفطرون أي يصوم النهار ويقوم الليل وببكائه إذ الناس يختالون وبحزنه إذ الناس يفرحون - نسأل الله التوفيق للسير على نهجهم والأخذ بسنتهم .





خِتَامُهُ مِسْكٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ عبدالله عبدالغني خياط

رائد ديني ـ مصلح اجتماعي ـ إداري موهوب ـ أديب مطبوع

بقلم عبدالوهاب ابراهيم أبو سليمان

شخصية علمية فذة ، وقيادة فكرية نادرة ، ذات مواهب متعددة ، وظفها في خدمة الإسلام ، والوطن ، والفكر .

ملأ الساحة العلمية والاجتماعية جهوداً مخلصة ، ونشاطات حميدة بدأت منذ أن أنهى تحصيله العلمي على علماء المسجد الحرام والمعهد العلمي السعودي عام ١٣٥٠هـ .

مآثره العديدة العلمية ، والفكرية ، والاجتماعية شهود قائمة ، وما انزوى منها ، أو تقادم بها العهد فإنه لايزال حياً في ذاكرة الأجيال التي نعمت بها ، وفتحت أعينها عليها ، وما يدون هنا إن هو إلا رصد للقيام بواجب الأمانة التاريخية دون تزيد أو مبالغة ، وهو الوفاء للأجيال

القادمة تروي لها الأجيال السابقة ، مشاهدها ، وتبثها أحاسيسها وانطباعاتها لتكون نبراساً لها في مستقبل أيامها .

إذا صنف فضيلة الشيخ عبدالله خياط بين العلماء فهو العالم السلفي الملتزم ، الذي خالطت معاني القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وسيرة السلف الصالح بشاشة قلبه ، إذا تحدث في مجلسه فالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية تجري على لسانه في صوت هادىء متهدج ، تعلوه نبرة التأثر بمعانيها ، وعمق الفهم لمدلولاتها ، وإذا استشهد في كتاباته الدينية والاجتماعية فإنه يحسن الاختيار والمناسب منها - وكلها حسن - وإجادته لحفظ القرآن الكريم وتضلعه من السنة النبوية الطاهرة أورثاه سرعة البديهة في الاستشهاد بهما ، وإدراك لأبعاد معانيهما ، وهذا واضح في كل أعماله العلمية ، وكتاباته الإصلاحية ، والتوجيهية ، والاجتماعية . ولعل الاقتباس التالي من مقال نشره في جريدة عكاظ العدد ٦٧٢١ ، الثلاثاء ١٣ صفر ، عام ١٤٠٥هـ بعنوان (والكلمة الطيبة صدقة) أدل على هذه الحقيقة في شخصية فضيلته العلمية - والشواهد عليها كثيرة جداً - يقول في مطلع هذا المقال :

«المثل العظيمة التي خطط لها الإسلام على لسان سيد الأنام ﷺ لا مندوحة عن الأخذ بها ، والتمشي طبق وحيها للارتفاع إلى مراقي الفلاح ، ومشارف الفضيلة ، ومن بين تلك المثل ماجاء في حديث طويل منه هذه الكلمة التي جعلناها عنواناً لمقالنا ، والحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه رواه البخاري ومسلم ، وفيه (... وتعدل بين إثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها ، أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة) الحديث .

والكلمة الطيبة تتسع فيها الأبعاد ، فكما تكون إشعاراً بالواجب ، أو أمراً بمعروف ، أو نهياً عن منكر ، أو غير ذلك من الفضائل والمكارم تكون

أيضاً تشجيعاً للعاملين ، وتقديراً للمضحين ، واستنهاضاً للهمم نحو الخير ،ولصاحب الكلمة الطيبة أجرها عند من يجزي على الحسنة بعشرة أمثالها ، لأنها صدقة ، والصدقة يتضاعف أجرها بنسبة ما تحدثه من أثر طيب ....» .

مطلع هذه المقالة جزء من حديث ، والمهم أنه لدى الاستشهاد به أخذ في تحليله ، وبيان أبعاده ، بمعان ومفاهيم عديدة وجديدة ، وفي أسلوب إرشادي رفيع .

وبهذا الأسلوب ، وباستخراج معان ومفاهيم جديدة تتماشى وروح العصر وسلوكياته يتعامل فضيلة الشيخ عبدالله خياط مع النصوص الشرعية .

وفي هذا الاستشهاد دلالة على اتجاهه الفكري ،فالقرآن والسنة وآثار السلف مصدره ومورده .

والتطبيق لما يقول ، ويتحدث به إلى الناس لا يفتقده فيه سامعه ، بل يجد عنده الحرص الشديد عليه ، يلمس هذا كل من حضر مجلسه وتردد عليه ،من الأمثلة الكثيرة على هذا : أنه كان يكره أن يقوم له أحد عند أداء التحية ، ويكره أن يقوم أحد لأحد في مجلسه ، بل كان ينهي عن ذلك ، ويتمثل بقول الرسول ﷺ (من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار) ، يعلن هذا الحديث على الحضور حتى لا يجد القادم في نفسه شيئاً عند عدم القيام له من الحضور في المجلس .

منح الله جل وعلا فضيلة الشيخ عبدالله خياط تلاوة خاشعة ، وأداء متميزاً كأنما يفسر القرآن بمواقفه ومقاطعه ، أداء تفهم ، ترق لسماعه القلوب ، وتخشع له النفوس وتسيطر على المشاعر ، ليأخذ طريقه إلى القلوب ، سواء كان تلاوة مرتلة ، أو إمامة في صلاة جهرية ، أو اقتباساً في خطبة .

وأترك الحديث للأستاذ الأديب العالم أحمد محمد جمال وهو أحد

حفظة كتاب الله ، وحديثه عن تلاوة الشيخ عبدالله خياط وتأثره به ، وتأثيره عليه في حفظ كتاب الله عز وجل ، فحديثه حديث الحافظ لكتاب الله ، العارف بمعانيه ، وحديثه في هذا المجال له وزنه واعتباره . يقول في زاويته الأسبوعية (الحديث شجون) :

«في كتابي (مأدبة الله في الأرض) الذي سوف يصدر قريباً عن النادي الأدبي في القصيم قلت في مقدمته :

أغراني بحفظ القرآن الكريم ، ودراسته والتفرغ لتأملاته رجلان فاضلان :

أحدهما : فضيلة السيد علوي عباس المالكي المدرس بالمسجد الحرام ، والذي بدروسه في تفسير القرآن الكريم التي كنت أداوم على حضورها مابين المغرب والعشاء مع الصديق صدقة سراج السمنودي .

والآخر : هو فضيلة الشيخ عبدالله خياط ، فقد كان الشيخ عبدالله خياط قبل نحو أربعين عاماً يصلي بالناس العشر الأخيرة من صلاة التراويح ، خلال شهر رمضان المبارك في المسجد الحرام ، وكان يصلي العشر الأولى مع العشاء الشيخ عبدالظاهر أبو السمح يرحمه الله .

وكانت تلاوة الشيخ عبدالله خياط للقرآن بصوته العذب الشجي الرخيم مبعث التعجب والتأثر للمأمومين ، وأنا واحد منهم ، ومن هنا بدأ طربي للقرآن ، ونشأ حبي له ، وكانت رغبتي في حفظه ، وطمعي في فهمه ، وأملي أن أصبح يوماً ما تالياً للقرآن كما يتلوه الشيخ عبدالله خياط ، ومفسراً له كما يفسره السيد علوي المالكي .

ثم اقتصر الشيخ الخياط على الإمامة والخطابة يوم الجمعة في المسجد الحرام ، وكان تأثيره على المصلين بالغاً ، من حيث التلاوة للقرآن في الصلاة أولاً ، ومن حيث الخطابة ثانياً ...»[١] .

---

(١) جريدة الندوة .

هذا شاهد ماثل من الواقع ، ولسان صدق يعبر لا عن مشاعره الشخصية ، وإنما هو في الحقيقة تعبير عن مشاعر جمهور الناس ، خاصتهم وعامتهم .

خطيب بليغ :

إذا كان يؤرخ للخطابة والخطباء في المسجد الحرام ـ وهو ما ينبغي أن يهتم به الدارسون ـ شخصيات وموضوعات ـ فلا يخالجني الشك أن فضيلة الشيخ عبد الله خياط كان من أكثرهم نفوذاً إلى قلوب جموع المصلين بالمسجد الحرام ، وماهذا إلا دليل الصدق والإخلاص يفوح من عباراته ، فما صدر من القلب نفذ إلى القلب ، تحمل خطبه المعاني الكريمة ، والموضوعات المناسبة المختارة التي تشغل حياة الناس دينياً ، واجتماعياً ، وثقافياً ، وسياسياً ، واقتصادياً في تنوع بديع ، وعبارات بليغة ، وأداء خطابي خاشع متميز ، ترق له المسامع والقلوب .

يكد ذهنه ، ويشرع قلمه ليختار الموضوع والموضوع ، ويستخير الله له ، فيعدل عنه إلى آخر فآخر ، حتى تطمئن له نفسه .

وقد عاصر منبر المسجد الحرام أثناء قيامه بخطبة الجمعة منذ عهده بالخطبة بالمسجد الحرام عام ١٣٧٣ حتى عام ١٤٠٥هـ إحياء حقيقياً لخطبة الجمعة ، وتحقيقاً كاملاً للأهداف منها ، وقد دوّن في مقابلة صحفية المبادىء الشرعية والأهداف الإسلامية التي يترسمها ويلتزمها في خطبة الجمعة ، أستخرج منها الآتي في عبارات فضيلته نصاً ، معنونة كما وردت في المقابلة الصحفية :

«شروط خطبة الجمعة هي أربعة شروط :

١ ـ حمد الله .

٢ ـ الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

٣ ـ وقراءة آية من القرآن .

٤ ـ الوصية بتقوى الله ، وهذه يتفرع عنها أمور كثيرة .

وما يخرج عن هذه الشروط فهو أجدر أن يسمى محاضرة لا خطبة ، لأن من السنة قصر الخطبة ، وطول الصلاة في حدود مشروعة كما كان يقرأ رسول الله ﷺ بسورة الأعلى والغاشية .

أسلوب الخطبة :

يجب أن لا تكون بأسلوب مهلهل ، بل بأسلوب يخاطب جميع العقول ، ويفهمها أكثر الناس بما فيهم العامة .

أما الأسلوب الرفيع الذي قد يكون خاصاً بالمثقفين فلا يفهمه غيرهم فهذا يبعد عن الانتفاع بخطبة الجمعة ، وعن الغرض منها كوعظ عام .

توحيد موضوع خطبة الجمعة :

لا أرى ذلك ، لأن المفروض أن يكون الخطيب ممن هو في مستوى رفيع يمكن الاستفادة منه في نطاقه ، أما توحيد خطب الجمعة وتوزيعها على جميع الجوامع ، فقد ينجم عن ذلك خطر كثير ، ذلك أن المبادىء المستوردة وغيرها ما نشرت إلا بواسطة بعض خطباء الجمعة في بعض الأقطار الإسلامية ، ولم يثبت في الماضي أن لجأ الناس إلى مثل هذا الأسلوب ، بل كانوا يلجأون إلى اختيار خطيب في اختيار ما رأى لمعالجة المواضيع في محيطه ، لأن الخطيب كالطبيب يشخص الداء ويصف الدواء ، وليس داء الأقطار الإسلامية كلها داء واحد ، فلكل قطر علة من العلل يشكو منها ، ومن حق الخطيب أن يعالجها في خطبته ، وذلك ما يسوغ خطر توزيع خطب الجمعة على جميع المساجد .

الوعظ بعد صلاة الجمعة :

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ فنصت الآية على أن يكتفي المصلون بسماع خطبة الجمعة ، أما الوعظ الآخر بعدها فنص الآية لا يشجع عليه بدليل قوله تعالى ﴿فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ خاصة وأن بعض المصلين يبكرون للجمعة ، ويمضي عليهم الوقت الطويل ، وبمجرد

انتهاء الخطبة والصلاة يكونون في حاجة ماسة إلى قضاء مصالحهم .

تخفيف الصلاة :

ذلك هو السنة بدليل قول الرسول ﷺ (من أمّ الناس فليخفف) ، وخاصة في زمن القيظ فإن من واجب المصلي أن يخشع في صلاته ، وشدة القيظ تمنع من ذلك ، خاصة إذا أطال الإمام الصلاة .[١]

وإن المبادىء التي تحدث عنها فضيلته هنا هي ماكان يطبقه في خطبة الجمعة وصلاتها دون أن يحيد عنها قيد شعرة ، وقد كان هذا محل ارتياح وإعجاب من العامة والخاصة ، وفي مقدمة من يستشهد به في هذا المجال .

أولا : معالي الشيخ حسن بن عبد الله بن حسن آل الشيخ يرحمه الله تعالى :

فقد ضمه وعدداً من الأمراء مجلس الملك خالد بن عبد العزيز يرحمه الله ، وجرى الحديث عن خطبة المسجد الحرام فتصدى معاليه للحديث عن إبداع الشيخ عبدالله خياط في خطبه وإيجازه ، مع توفيته للموضوعات التي يعالجها حقها ، وأدائه لها الأداء الرفيع ، فأطنب في الثناء عليه

فبلغ هذا فضيلة الشيخ عبدالله خياط فعتب عليه ، فأجابه معاليه بقوله :

«ما قلت فيك إلا ما أعتقده ، أتريد أن أكتم الحق ؟؟؟ والمجال مجال عرض للشخصيات ، ومواهبهم ، وقيامهم بأعمالهم على خير ما يطلب منهم ...» .[١]

---

(١) مجلة رابطة العالم الإسلامي ، العدد ٢٦٦ ، السنة ٢٥ ، رمضان المبارك ، عام ١٤٠٧هـ مايو عام ١٩٨٧م .

ثانيا : الأديب العالم الأستاذ أحمد جمال في معرض حديثه متسائلاً عن اعتذار فضيلة الشيخ عبدالله خياط عن الإمامة والخطابة ، ومعجبا بإبداعه في الأخيرة ، وبيان جوانبه عنده قائلاً :

« ... ومن حيث الخطابة ثانياً ، إذ كان يتميز بأسلوب ومنهج متفردين في أداء الخطبة ، وفي اختيار الموضوعات المناسبة لكل ظرف ، معه الإيجاز الذي لا يخل بالحديث ، وموضوعه المطروح على المستمعين ، إذ كثيراً من خطباء المساجد يطيلون خطبهم ، ويسردونها سرداً مملاً ، ولا يحسنون اختيار الموضوع المناسبة لكل ظرف ...

والآن نأسف كل الأسف لاحتجاب الشيخ عبد الله خياط عن الخطابة يوم الجمعة بالمسجد الحرام لما أبداه من ظروف صحية تمنعه من مواصلة العمل كخطيب ، وإمام في المسجد الحرام ، ونتمنى أن يتغلب فضيلته عليها ليعود إلى مستمعيه ـ ولو جمعة واحدة كل شهر ـ لينفع الله بمواعظه ، ويجزيه عن المنتفعين بها خير الجزاء»[1] .

وما كان لفضيلته أن يتوقف برغم ما يتكبده من جهد وعناء لولا وهن الجسم وما يشكوه من آلام فلقد ترك فضيلته فراغاً كبيراً بتوقفه عن إكمال مشواره في هذا المرفق الديني المُهم ، يفتقده جموع المصلين بالمسجد الحرام ، خطيباً بليغاً ، وإماماً مثالياً في الصلاة ، وقدوة صالحة للمجتمع .

---

(١) (لا يذهب العرف بين الله والناس) ، عكاظ ، السنة السابعة والعشرون ، العدد ٧٥١٢ ، الاربعاء ، جمادى الأولى ، عام ١٤٠٧ / ٢١ يناير ، عام ١٩٨٧ ، ص ٧ ، العامود ٤ .

إداري موهوب :

الإدارة علم وموهبة ، ولئن كان فضيلة الشيخ عبدالله خياط لم يدرسها تخصصاً ، ولكنه درسها في مدرسة النبوة الكتاب والسنة ، التي جمعت كل معاني الإدارة السليمة ، والسياسة الحكيمة ، اللتين تحققان النجاح . وإن الثقافة الشرعية التي تضلع منها فضيلته ، والتي تجعل من كل من تربى على مبادئها مثلاً في إدارة غيره ، والتعامل معه ، لاشك أن لها دوراً كبيراً في نجاحه الإداري ، وكم هي الآيات والأحاديث التي تصوغ القيادة الإسلامية ، وتعدها لدور ناجح ونشط في المجتمع ، وإن من هذه القواعد الإدارية الرفيعة التي حاول أن يرسخها الشرع الإسلامي حسن الخلق ، ومن النصوص في هذا المجال وهي كثيرة ما رواه الطبراني عن عمران بن حصين قال قال رسول الله ﷺ : (إن الله تعالى استخلص هذا الدين لنفسه ، ولا يصلح لدينكم الا السخاء ، وحسن الخلق فزيّنوا دينكم بهما) .[1]

ولقد انضم إلى انصهاره في تلك البوتقة الإسلامية الكريمة موهبة واستعداد فطري ، فكان فضيلته نموذجاً في الإدارة وحسن التصرف ، ومعاملة الناس حتى بلغ الأمر بالناس إلى الرضى الكامل التام عنه ، فلم أعهد متحدثاً يشكو معاملته أو يذكر له مضايقة ، وكانت الأمور الإدارية للمرافق الحكومية التي تولاها تسير على أحسن نسق وأبدع ترتيب .

وإن مما يقال في هذا الصدد استيفاء لخصائصه : إن الفرد قد يكون مدرساً ناجحاً ومحل الثناء ، ولا يلزم من نجاح التدريس النجاح في الإدارة ، وقد جمع الله النجاح لفضيلة الشيخ عبدالله خياط تدريساً وإدارة .

---

(١) جريدة المدينة العدد ٧٧٨٢ ، الخميس ١٣ محرم ، عام ١٤٠٩هـ ، الحلقة الثانية ، العمود الرابع .

وقد شغل فضيلته مناصب إدارية مهمة لا يتسع المجال إلا لتقديم بعضها وأثره الكبير فيها .

من خلال قيامه بإدارة المدرسة الفيصلية الابتدائية اطلع مدير المعارف آنذاك السيد طاهر الدباغ على كفاءة إدارية نادرة ، وإخلاص وتفان كبيرين في العمل من فضيلة الشيخ عبدالله خياط ، وكان محل إعجابه وتقديره ، وبلغ من ثقته به ترشيحه مديراً لمدرسة الأمراء أنجال جلالة الملك عبدالعزيز يرحمه الله ، وطلب منه القيام بإدارتها عام ١٣٥٥هـ واستمر مديراً حتى عام ١٣٧٢هـ استمرت سبعة عشر عاماً ، وخوله جلالته كافة الصلاحيات في كل ما يتصل بالمدرسة من اختيار المدرسين ، والمتعاونين ، وما له صلة بالنواحي المادية ، فاختار نخبة مدرسي مكة المكرمة ، وكانت اختياراته وتصرفاته المخلصة منحته ثقة جلالة الملك عبدالعزيز يرحمه الله ، فأطلق يده في تربية أبنائه دون حساب ، أو عتاب . وظهرت آثار تلك التربية الكريمة وفاء وحباً من أبناء جلالته لهذا العالم الفاضل ، المربي القدير ، والإداري الموهــوب . وظهرت آثار تلك التربية عليهم سياسة حكيمة ، وتفانياً في خدمة الوطن ورفعته ، ولا يخفى على كل ذي ثقافة ومعرفة أن تأديب أبناء الملوك يحتاج إلى حكمة وحسن إدارة أكثر من حاجة القائم بأمره إلى العلم والمعرفة ، وقد جمعهما الله : الإدارة والمعرفة في فضيلة الشيخ عبدالله خياط .

كما أنه ليس كل مرب صالحاً لتأديب أبناء الملوك ذلك أن تربية هؤلاء معناه إعدادهم لقيادة أمة وتدبير سلطان ، والقائم بأمر تربيتهم يعني أول ما يعني بث السلوك الأفضل في التعامل مع الآخرين ، وبالأحرى مع الرعية .

وإذا لم أكن مؤهلاً للحديث بإسهاب عن إدارته لمدرسة أنجال الملك عبدالعزيز بل يتحدث عنها أحسن الحديث من حظوا بتوجيهه وحسن

إدارته من أبناء الملك عبد العزيز الأوفياء ، ولكني أستطيع أن أتحدث عن إدارته لعمادة كلية الشريعة لمدة ثلاثة أعوام من عام ١٣٧٥هـ حتى عام ١٣٧٧هـ وكنت يومها أحد طلابها ، وأستطيع القول بكل ثقة : بأنه لم يمر على عمادة كلية الشريعة ماضياً وحاضراً فترة أزهى ، وأكثر نشاطاً ، ورعاية للجوانب الإدارية والعلمية ، والنشاط اللا صفي من الفترة التي تولاها فضيلته ، فقد انتظمت الدراسة فيها انتظاماً فريداً ، وشعر الطلاب والمدرسون بجو علمي صافٍ ، وإداري حدب على مصالحهم .

ولم يكن ليكتفي في إدارة الكلية بالجلوس خلف المكتب ، بل كان ينتقل بين صفوف الدراسة وبين جموع الطلاب اطمئناناً على السير الدراسي ، والمستوى العلمي ، وهو مالم يعهد لعميد قبله أو بعده .

ويقدم الأستاذ الأديب مصطفى عطار مستشار جامعة الملك عبد العزيز حالياً للأهداف التي توخاها فضيلته من جولاته في الفصول الدراسية في مقال قيم موثق بعنوان (سماحة الشيخ عبد الله خياط إمام جليل ، وعالم فذ ، وداعية موفق) قائلا :

«ولنصغ إلى أدب العلماء ، وأمانة المسئول الذي لا يتنفج بإبداء صور لأعماله ، ناسياً أنها من صميم واجبه ، قال سماحته أثابه الله :

(غشيان فصول الدراسة أثناء التدريس للكشف عن موهبة كل مدرس ، ومدى نشاطه ، وطريقة تدريسه ، وانسجام الطلاب معه ، واستفادتهم منه ، ولقد كانت هذه الأغراض هي الهدف من التطواف على الفصول ، ولكنها أضحت وسيلة لوقوف المدير [يعني نفسه] على اتجاهات سديدة في الشرح ، ومجالات هادفة في التثقيف لم يكن قد سبق له التعرف إليها .

لقد استمع إلى أستاذ وهو يقرىء درساً في سبل السلام ، وكأنه البحر في هديره ، لم يتلعثم ، أو يكرر العبارة ، شأن من يبتلى بالعي ، أو يجلس على كرسي الفصل نتيجة للجهد الذي يبذله .

واستمع إلى آخر ، وهو يقرر تفسير آيات الأحكام ، ولا تسل عن البلاغة في أسلوبه ، والفصاحة في توضيحه ، يعدد الروايات في استنباطاته ، ويقرر الراجح منها .

وأقف على مدرس ثالث في اللغة العربية ، وفي ألفية ابن مالك ، يشرح الغامض ، ويستعرض الشواهد وكأنها من البدهيات التي لا تتطلب إعمال فكر ، أو تنسيق عبارة .

وهكذا استمع إلى بقية من أساتذة الكلية فكانوا ممن لا يشق لهم غبار ، أو يلحظ عليهم عوار) .(١)

على هذا المستوى كان المدرسون من صفوة العلماء كما وصفهم عميد كلية الشريعة الشيخ عبدالله خياط فترة عمادته ، ويوم كنت وزملائي ننعم بالدراسة في أروقتها ، أذكر منهم فضيلة العلامة الشيخ محمد متولي الشعراوي ، والأستاذ الدكتور عوض الله حجازي وغيرهم .

لم تتوقف رعاية فضيلته لأبناء الكلية المتخرجين فيها لدى التحاقهم بها ، بل تجاوزتها إلى مابعد التخرج نصحاً ، وتشجيعاً ، وتوجيهاً ، ولقد أحسسنا جميع المبتعثين إلى خارج المملكة من أبناء كلية الشريعة تعهده لنا بالنصح ، وتوجهه لنا بالدعاء من خلال مراسلاته الأبوية ، والتي كانت السبب بعد الله في شد عزيمتنا على مواصلة الدراسة ، والاستفادة قدر المستطاع من المرحلة العلمية التي اغتربنا من أجلها . وبعد العودة إلى الوطن ، وتقلد المسئوليات العلمية والإدارية التي أنيطت بنا كان يعيش مشاكلنا التي نواجهها فنجد عنده النصح والتوجيه الصادقين ، والحلول السديدة .

---

(١) عكاظ ، «اليوم نادي مكة الادبي يحتفي بالخياط» ، السنة الثلاثون ، العدد ٨٥٦٦ ، الثلاثاء ٢٨ جمادى الأولى ، عام ١٤١٠هـ ، العمود السادس .

ولا أجد متسعاً من الوقت للتنويه تفصيلاً عن تقليده مديرية إدارة التعليم بمكة المكرمة عام ١٣٧٥هـ ، وكاد يكون معظم التعليم في المملكة هو التعليم في مكة المكرمة ، وكان رجال التعليم في تلك الفترة مزيجاً من الشيوخ كبار السن الذين نهض التعليم على أكتافهم بالمملكة العربية السعودية منذ تأسيسها ، وجيل المتخرجين من كليتي الشريعة والتربية ، وكان فضيلته موضع إعجاب وتقدير الفئتين ، يتعامل مع الأولى بكل إجلال وتقدير ، ويتعامل مع الأخرى بكل العطف والتشجيع ، وهو موضع ثقة الجميع ، فكان الجو التعليمي تحت إشرافه مشبعاً بروح المحبة والألفة بين منسوبي التعليم ، ولا يبرح أحد مكتبه إلا والرضى يملأ نفسه ، يتواضع للصغير ، ويجل الكبير ، يتردد على المدارس زائراً حالاً ، متلمساً احتياجاتها ، متفقداً أوضاع المدرسين ، مطمئناً على مستوى الطلاب .

مؤلف قدير :

التأليف المدرسي للعلوم الدينية بطريقة حديثة محببة يضع فضيلته ضمن الرواد والمجددين له في تاريخ نهضتنا العلمية الحديثة ، فقد زود الساحة التعليمية بمؤلفات قيمة تتناسب والمراحل المقررة لها في التفسير ، والعقيدة ، والفقه .

فسلسلة (التفسير الميسر) المقررة على المرحلة المتوسطة ، متميزة بسلاسة العبارة ، وتقريب المعاني ، وتسلسل الافكار .

وكتب العقيدة للمرحلة الابتدائية صيغت في أسلوب حواري يساعد الناشئة على الفهم والتركيز ، يقرب معناها إلى الطلاب .

صياغة مشوقة :

يقدر مثل هذه الأعمال العلمية من مارس العملية التعليمية تعلماً ، أو تعليماً في كتب المواد الدينية في صياغتها القديمة ، إذ لا يستطيع التأليف لهذه المستويات بصورة مناسبة إلا مؤلف بارع ، له قدرات علمية على

تطويع العبارات ، وتنويع الأساليب ، وهو ما توافر لفضيلة الشيخ عبدالله خياط ، وتجلت مظاهره فيما خَطَّهُ قلمه ، وأملاه فكره من مقررات دراسية للمواد الدينية .

أديب مطبوع :

يملك فضيلة الشيخ عبدالله خياط عنان القول ، والتعبير الأدبي الرفيع دون تكلف ، يتخيّر لأغراضه الكتابية أفصح الكلمات ، وأبلغ الجمل والعبارات ، دلالة على المعاني والمفاهيم ، في نسق تعبيري متسلسل المعاني والأفكار ، مستخدماً كافة الأساليب البلاغية الإنشائية من استفهام ، وتعجب ، واستنكار ، وتقرير وغيرها للإقناع والتأثير دون مغالاة أو مجافاة ، متخذاً من الاقتباسات النصية من كتاب ، أوسنة ، أو أثر ، أوشعر ، أونثر ، أوقصة عنصراً قوياً ، وركناً أساساً ، احتجاجاً وتأييداً لما يعرضه من مفاهيم وأفكار .

يهتم أكثر ما يهتم فضيلته في مقالاته وبحوثه وخطبه المنبرية ببراعة المطلع حيث يحقق به استجماع مشاعر سامعية ، أو قارئية ، يتخير له أدق التعبيرات ، وأكثرها تصويراً ، وإحاطة بالموضوع .

يوظف هذه القدرات الأدبية ، وذلك الإبداع الكتابي في إصلاح المجتمع المسلم سلوكاً ، وفضائل ، وحماية من البدع والأضاليل .

ولا أكون متجاوزاً في القول ، أو مبالغاً فيه بأن كتاباته الدينية والاجتماعية نموذج عال للأدب الإسلامي في معناه ومبناه .

وإن جولة سريعة في كتاب (تأملات في دروب الحق والباطل) تأخذ بيد القارىء إلى تلمس تلك الحقائق دون عناء ، ولو أطلق العنان للاستشهاد لهذا لطال مجال الحديث .

ومظاهر الكتابة الأدبية عند الشيخ عبدالله خياط تتجلى أيضاً في مشاركاته الصحفية في الدوريات والصحف اليومية العديدة . فقد كان

مقاله طليعة مجلة الحج ومجلة التضامن الاسلامي في كل أعدادها وقبل أن يحول المرض بينه وبين مزاولة نشاطه العلمي والفكـري ، ومن مشاركاته الفكرية المستمرة أيضاً :

أولا : مقاله الأسبوعى بعنوان (على درب الخير) الذي اختص به جريدة عكاظ على مدى عشر سنوات ، «يجسد فيه فضيلتـه دينياً ، واجتماعياً ، وثقافياً قضايا متعددة يقوم بعرضها بأسلوب سهل وسلس ، بجانب الحلول والآراء التي يحتويها (على درب الخير) بالإضافة إلى مواضيع لها مناسباتها ، وأحداثها» .[١]

ثانيا : متابعاته العلمية والأدبية لما تزود به الساحة العلمية والأدبية من إصدارات جديدة ، والكتابة عنها في مقال أسبوعي في صحافتنا المحلية يوجه الأنظار إليها ، ويبين الجوانب المفيدة فيها ، إشادة بأصحابها ونقداً موضوعياً لمحتوياتها .

ثالثاً : سلسلة مقالاته الأسبوعية بعنوان (لمحات من الماضي) وهي نوع جديد مبتكر للترجمة الذاتية من خلال الشخصيات التي كان لها أثر على فضيلته ، إذ يسجل فيها انطباعاته وتأثره بتلك الشخصية ، وأبرز خصائصه العلمية ، أو السلوكية ، وتجربته الشخصية معه ، وهي في الحقيقة دروس من الواقع عاشها فضيلته يطلع عليها الأجيال الحاضرة لتأخذ منها مناراً لحياتها ، هذه اللمحات في الحقيقة تاريخ لما لم يُعْنَ به التاريخ ، وقد تجاوز مجموع هذه الشخصيات العلمية ، والقيادات الفكرية ما يربو على العشرين شخصية ، يمثل مجموعها ديواناً مستقلاً في التأليف .

هذه اللمحات تمثل الخطوات قبل الأخيرة في مشوار فضيلته العلمي ، وتاريخه الثقافي القيادي ، وعبّر عنها في طليعة سلسلة هذه المقالات ،

والتي أوجز فيها سجلاً مختصراً لشوط حياته الطويل على مدى ثمانين عاماً من الكفاح في معترك الحياة العلمية والأدبية والإصلاحية ، والاجتماعية وإني أترك المجال للقارىء الكريم يعيش عبقها الروحي الصافي ، ونسماتها الشذية ، وهي قبل هذا وبعده قطعة من الأدب الرمزي ، تعبر كل جملة فيها عن مرحلة من مراحل حياته ، وألفت نظر القارىء إلى مطلعها ، وبراعة استهلالها ، وكأن فضيلته يتحدث عما هو فيه الآن بفراسة المؤمن منذ نشره هذه اللمحات عام ١٤٠٢هـ .

«غدا تذبل الشمعة ، ثم تنطفىء ، وتذوي الشجرة الناضرة ، ثم تكون هشيماً تذروه الرياح ، وذلك شأن كل من عاش على الغبراء ، لا فرق بين من علا كعبه ، وارتفع مقامه ، وبين من كان من الدهماء يفترش الغبراء ، ويلتحف السماء .

وإن هذه اللمحات ولا أقول الذكريات ، لأن الذكريات أكثر شمولاً واستيعاباً لشتى الاتجاهات ، هذه اللمحات تصور واقع رجل وهن منه العظم ، وبلغ من الكبر عتياً ، شرب من كأس الحياة حلوه ومره ، فكان مع الحلو من الشاكرين ، ومع المر من الصابرين ، تمشياً مع توجيه الرسول الكريم ﷺ (عَجَب أمر المؤمن ، إن أمره كله عجب ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وليس ذلك إلا للمؤمن) .

عاصر خمسة من ملوك آل سعود أسود الشرى ، وحماة الحمى فحظي بتقديرهم جميعاً ، وصحب الأمراء صحبة المعلم للمتعلم ، وكان له معهم مواقف لا تغيب عن ذهنه أبداً ، وليت الآخرين يذكرونها كذلك ، كانت التضحية فيها شعار المعلم والمتعلم .

جالس العلماء وأخذ من علمهم .

وخالط الأدباء فاقتبس من أدبهم .

وكان من ثمار ذلك أن شارك العلماء في أرفع مجالسهم الوظيفية .

وشاطر الأدباء في مجالاتهم الأدبية فكانت له جولات علمية أدبية في جميع وسائل الإعلام : الخطابة ، والصحافة ، والإذاعة .

وانتهى به الأمر إلى الانطواء والعزلة ، لست أدري أكان ذلك من عامل السن فقد انصرف عن المجاملات والمحاولات في الجري وراء الشهرة والسهر على حب الظهور كدأب الناس ، أو أكثرهم ، أخذاً بقول الشاعر :

« ونبه الناس إلى رتبتك »

أم كان الانزواء والانطواء قناعة بالماضي ولترك الشوط لغيره ، فلكل زمان رجال ، ومع انزوائه ، وانطوائه ما برح يعلل النفس بالآمال الطويلة العريضة في الحياة كما قال الشاعر :

« أعلل النفس بالآمال أرقبها

ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل »

هذه توطئة ، أو مقدمة لما بعدها من الأشواط التي عقد لها هذا العنوان (لمحات) .

إنها لمحات في حياة مديدة لرجل كما وصف آنفاً بلغ من الكبر عتياً ، وهو يسير كل يوم في خطى متلاحقة إلى المصير المحتوم ، وسوف يصل كما وصل غيره كما قال الشاعر :

لما رأيت موارداً للموت # ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها # يمضي الأصاغر والأكابر

أيقنت أني لا محالة حيث # صار القوم صائر

ومالنا نستشهد بالأشعار ، ولدينا خير الكلام يصور أروع مقال مما تصوره الأشعار دون مقارنة بقول رب العزة ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ ، ويقول ﴿كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ ، إلى غير ذلك مما يصور المصير المحتوم في أرفع بيان ...» .

ويختم هذه المقدمة التي هي حديث رمزي موجز عن ذلك المشوار الطويل الذي قطعه فضيلته في سبيل الله والوطن ، جهاداً بالقلم والبيان ، دون توان أو ملل ليذكر القارىء بما استهدفه من هذه اللمحات بله الصفحات المشرقة قائلاً :

«أعود فأقول إن هذه اللمحات من وحي الذاكرة ، والعناية بتسطيرها فيه أمران :

أولا : دروس هادفة قد يجد فيها البعض ، وخاصة الجيل الصاعد ما يكون عزاءه في واقعه لعله أضناه وشق عليه السير فيه في أي محاولة من محاولاته الدراسية ، أو العملية والوظيفية ففي هذه اللمحات ما يتحدث عن ذلك .

ثانياً : العزاء أيضاً لمن سار على الدرب في ماض لم يُعن فيه بالشهادات ، أو المؤهلات ، بل كان المعول والذي يوزن به المرء الحصيلة العلمية والثقافة ، وإن لم يحمل المتعلم مؤهلاً كجواز سفر يجتاز به المعترك كما قال الشاعر :

(قيمة الإنسان ما يحسنه # أكثر الإنسان منه أو أقل)..[1]

إن هذه اللمحات ، أو في الحقيقة الحديث عن الشخصيات التي كان لها أثر في نفس فضيلته وتأثر بها بالإضافة إلى مافيها من معلومات تاريخية مهمة لهذه البلاد فإنها تنبض بالنبل والوفاء يشهدان لكاتبها ، فيها وفاء التلميذ لشيخه ، والقرين لأقرانه ، والوفاء لكل من تعامل معهم ، وهي من قبل هذا وبعده وفاء لأمته ووطنه . خصوصاً وقد التزم بمنهج لم يجز لنفسه أن يحيد عنه إذ يقول في عرض حديثه عن شيخه

---

(١) جريدة المدينة المنورة ، العدد ٥٧٦٤ ، ١ ربيع الأول ، عام ١٤٠٣هـ .

فضيلة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة يرحمه الله مذكراً بمنهجه في كتابة اللمحات :

«لست أكتب عن تاريخ حياته فاستقصي فيه كل شيء ولكني أكتب من زاوية عقدت لها هذه الحلقات : شخصيته وكيف كان لها الأثر في نفسي ، في طليعة ما يجب أن أعني به مثاليته في المنزع ، وأخلاقه الكريمة العظيمة التي تلحقه إن شاء الله بالصالحين ...»[1]

وقد جمعت هذه اللمحات بين سطورها الحدث الطريف ، والحكمة ، والتربية ، وتعامل الكبار مع الصغار ، وأحياناً ، شقاوة الطلاب مع أساتذتهم ، ذكريات وذكريات ، صور لأجيال كبار قد سبقوا ، وصور لأجيال لاحقة ساروا على سننهم ، إنها ثرة بالمعاني والأفكار ، والسلوك والآداب ، فهي مدونة جيل بخصائصه وميزاته ، وفضائله وسلوكياته ، والاعتراف لكل ذي فضل ، يذكر في الحلقة العاشرة التي خصصها للمربي القدير ، الأديب الشيخ أحمد العربي قوله :

«وثمة شيء آخر أدين له فيه بالفضل ألا وهو التمهيد لتمكني من إدارة مدرسة الأمراء خلفاً له فقد كان المؤسس لها ، فوطد دعائمها ، وعود طلابها على الأخذ بالتعليم الحديث المنظم ، فعندما خلفته وجدت طريقاً مفروشاً ممهداً درجت عليه دون عناء ومتاعب كل ذلك وغيره ترك تأثيراً في نفسي الأثر الطيب الذي لا يمحوه تقادم العهد ، وظروف الحياة ...»[1] .

وهكذا في كل سطر وكلمة يعبر بها تنضح بالتواضع ، والاعتراف بالجميل ، وهو خلق العلماء ، والكبار ، كبار النفوس ، النفوس التي تأدبت بأدب الإسلام ، وورثت آدابه وعلومه فأصبحت رمز الأجيال ، ومفخرة التاريخ ، فمن حق هؤلاء وقد قدموا ما في وسعهم أن يظلوا أحياء في ذاكرة الزمن ، والتاريخ ، والأجيال سواء غابوا عن الأنظار ، أو

---

(١) جريدة عكاظ . الثلاثاء ١٢ ربيع الاول . عام ١٤٠٥ . ٤ ديسمبر عام ١٩٨٤م .

انتقلوا إلى رضوان الله ، فحقوقهم في ذمم الأجيال عظيمة ، أقلها أن يعرفوا لهم قدرهم ، وأن لا يخيم النسيان عليهم فإن في نسيانهم نسيان الذات ، ونكران للجميل .

وإن أبناء الشخص يعدون من آثاره ، وإفضالاته بعد الله عز وجل إذا سلكوا مسلكاً حميداً ، فلقد أفاء الله على فضيلة الشيخ عبد الله خياط أبناء بررة ، علماء في مجالات علمية وعملية مختلفة ، فيهم الطبيب الحاذق ، والمربي المتخصص ، والمحدث ، والمؤرخ .

ابنه الطبيب الدكتور عبدالرحمن أحد المتخصصين السعوديين النابهين في طب القلب وجراحته .

ابنه الدكتور عبدالعزيز الأستاذ بجامعة أم القرى أحد المتخصصين في التعليم العالي .

ابنه الدكتور أسامة الأستاذ بجامعة أم القرى أحد المتخصصين في الحديث الشريف وعلوم السنة .

ابنه الأستاذ أحمد متخصص في التاريخ والحضارة .

وهكذا يضيف فضيلته إلى مكرماته وجهاده في سبيل الإسلام ونشر الفضيلة جيلاً من أبنائه العلماء إلى رصيده الكبير من التلاميذ والمستفيدين ، فمن حق الأجيال والبلاد أن تفخر بمثل هؤلاء الرجال الأعلام .

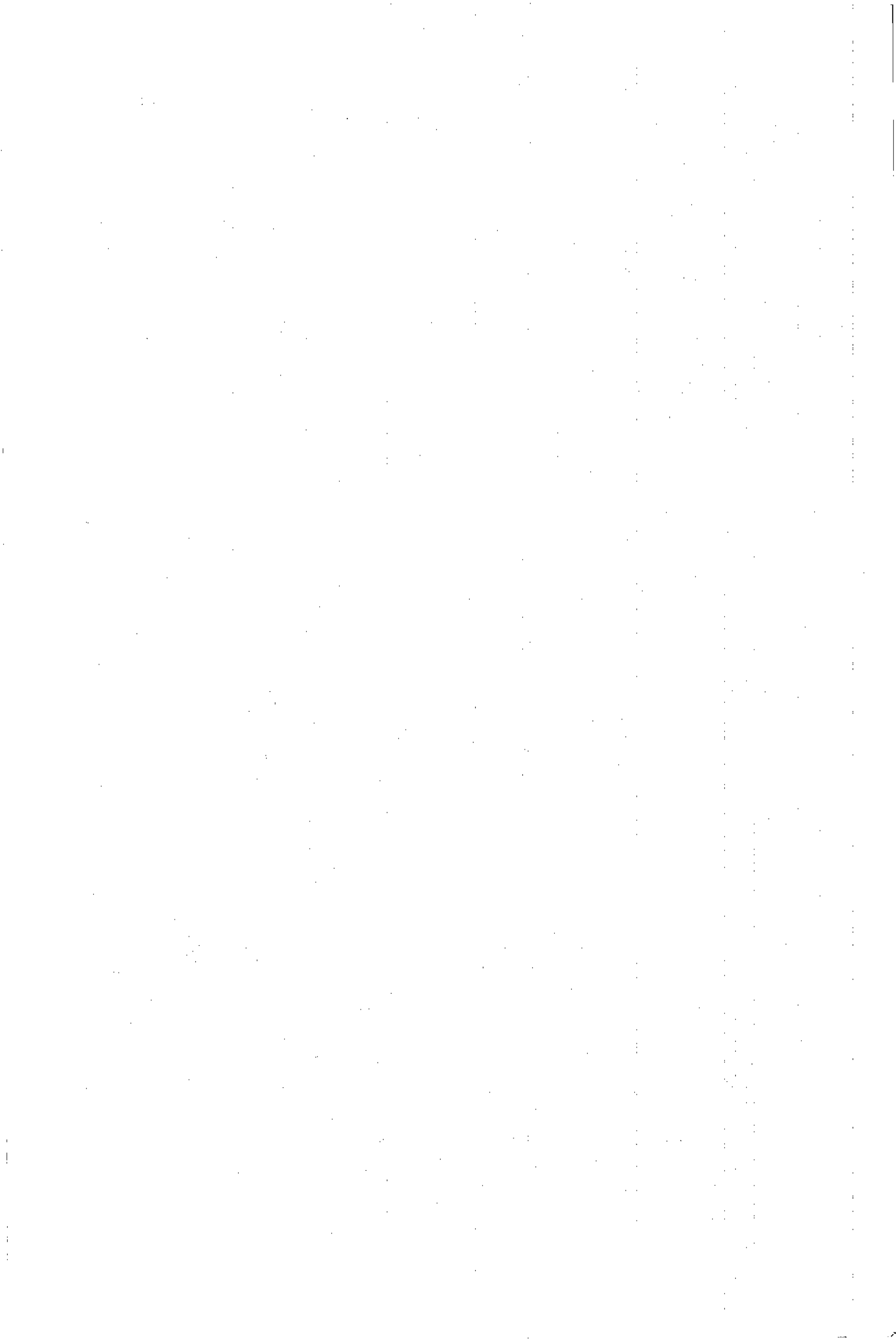
والحديث عن فضيلة الشيخ عبدالله خياط وآثاره العلمية والاجتماعية ونشاطه في سبيل نشر الدعوة الاسلامية أكثر وأغزر من هذا ، ولكن ما سطره القلم قليل يشير إلى الكثير ، لعل من يشاركني هذه الانطباعات والمشاعر ، ومعرفة الكثير من الحقائق أن يكون أبين في التحدث عن فضائله ، وتحليل موروثه العلمي ، والكشف عن قيمته وأهميته ، وأقصى ما يستطع مثلي مكافأته بما طوق به أعناق هذا الجيل والأمة الإسلامية الدعاء أن يجزيه الله عن الإسلام والمسلمين خير

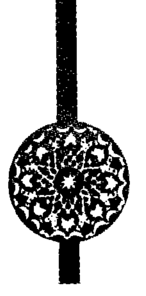
الجزاء ، وأن يمنّ عليه بالصحة والشفاء ، إنه سميع قريب مجيب الدعوات ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

عبدالوهاب ابراهيم أبو سليمان

مكة المكرمة ـ الخميس ٦/٩/١٤١١هـ







المراجع حسب الترتيب الهجائي لكتاب الشيخ عبدالله عبدالغني خياط الخطيب بالمسجد الحرام»

١ - اتحاف اللبيب في سيرة الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب - لمحمد بن ناصر بن عبدالعزيز الشثري .

٢ - اتحاف الاخوان في أسانيد الشيخ عمر حمدان - لأبي الفيض محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني المكي - دار البصائر .

٣ - الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف للأمير شكيب أرسلان - صححه وعلق عليه عبدالرزاق محمد سعيد كمال - مكتبة المعارف .

٤ - اعتقاد السلف - عبدالله عبدالغني خياط - دار الثقافة للطباعة والزنكوغراف .

٥ - أعلام الحجاز - الجزء الأول - محمد علي مغربي .

٦ - الأمن الذي نعيشه - حسن عبدالحي قزاز .

٧ - الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية - يوسف بن اسماعيل النبهاني .

٨ - تاريخ عمارة المسجد الحرام - حسين عبدالله باسلامة - دار تهامة .

٩ - التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم - محمد طاهر الكردي المكي - مكتبة النهضة الحديثة - مكة .

١٠ - تاريخ مكة - احمد السباعي - مطبوعات نادي مكة الثقافي .

١١ - تأملات في دروب الحق والباطل - عبدالله عبدالغني خياط - تهامة .

١٢ - تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان - ابراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن - مطابع النور للطباعة والتجليد .

١٣ ـ تربيتنا الروحية ـ سعيد حوى .
١٤ ـ ترجمة شيخ الإسلام قدوة السالكين الحبيب أحمد بن حسن بن عبدالله العطاس العلوي الحسيني الحضرمي الشافعي ـ علي بن أحمد العطاس .
١٥ ـ تفسير القاسمي (محاسن التأويل) ـ محمد جمال الدين القاسمي ـ دار الفكر .
١٦ ـ الجبل الذي صار سهلاً ـ احمد قنديل ـ تهامة .
١٧ ـ جريدة المدينة ـ ملحق الأربعاء ١٤٠٣/٦/٢هـ ـ مقابلة مع الأمير مشاري بن عبدالعزيز .
١٨ ـ حكم وأحكام من السيرة النبوية ـ عبدالله عبدالغني خياط/ دار الرفاعي للنشر .
١٩ ـ حفل تكريم الشيخ عبدالله خياط ـ شريط فيديو من النادي الثقافي بمكة (قدمه للكاتب الاستاذ مصطفى عطار) .
٢٠ ـ خريطة مكة المكرمة ـ إصدارات خرائط الفارسي .
٢١ ـ الخطب في المسجد الحرام ـ عبدالله عبدالغني خياط ـ مكتبة السيد محمد المؤيد ـ الطائف .
٢٢ ـ الدليل المشير إلى فلك أسانيد الاتصال بالحبيب البشير (مخطوط) ـ أبو بكر بن أحمد بن حسين الحبشي .
٢٣ ـ ذكريات ـ أحمد علي ـ مطبوعات نادي الطائف الأدبي .
٢٤ ـ الربا في ضوء الكتاب والسنة ـ عبدالله عبدالغني خياط ـ دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع .
٢٥ ـ الرحبية (منظومة في علم الفرائض) ـ محمد بن علي الرحبي .
٢٦ ـ رحلة إلى ماليزيا ـ مقال بجريدة عكاظ للشيخ عبدالله عبدالغني خياط .
٢٧ ـ سبيل الادكار والاعتبار ـ عبدالله بن علوي الحداد ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده .
٢٨ ـ سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر ـ عمر عبدالجبار ـ تهامة .
٢٩ ـ شخصيات لها أثر في نفسي ـ مقالات بجريدة عكاظ .

٣٠ - شذرات الذهب - أحمد بن ابراهيم الغزاوي - منشورات دار المنهل .
٣١ - العقود اللؤلؤية - محمد بن علوي بن عباس المالكي .
٣٢ - العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد - عبدالحميد طهماز - دار القلم - دمشق / بيروت .
٣٣ - فصول إسلامية - علي الطنطاوي / دار الفكر .
٣٤ - فهرس الفهارس والاثبات - عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني - دار الغريب الاسلامي .
٣٥ - لمحات من الماضي - عبدالله عبدالغني خياط .
٣٦ - متن الزبد في علم الفقه - احمد بن رسلان الشافعي - مكتبة الثقافة - مكة المكرمة .
٣٧ - مرآة الحرمين - اللواء إبراهيم رفعت باشا .
٣٨ - المجلة العربية - حمد الجاسر .
٣٩ - محاضرة حول الدراسة في المسجد الحرام للأستاذ عبدالوهاب ابراهيم أبو سليمان (ألقيت بالنادي الثقافي بمكة) .
٤٠ - المختصر من كتاب نشر النور والزهر - الشيخ عبدالله أبي الخير مرداد - اختصار وترتيب وتحقيق محمد سعيد العامودي وأحمد علي - عالم المعرفة للنشر والتوزيع .
٤١ - مذكرات مكتوبة وشفوية (قدمها للكاتب) الدكتور عبدالعزيز عبدالله خياط عن والده .
٤٢ - مذكرات خاصة كتبها الأستاذ عبدالعزيز أحمد الرفاعي .
٤٣ - مذكرات خاصة كتبها السيد محسن أحمد باروم .
٤٤ - معجم مدينة الرياض - خالد بن أحمد السليمان - مطابع دار الفرزدق التجارية .
٤٥ - مكة في القرن الرابع عشر الهجري - محمد عمر رفيع - منشورات نادي مكة الثقافي .
٤٦ - الملك عبدالعزيز والتعليم - د. عبدالله أبو راس - بدر الدين الديب - شركة العبيكان للطباعة والنشر .
٤٧ - من روادنا التربويين المعاصرين - د. عبدالله محمد الزيد .

٤٨ ـ النَفَس اليماني ـ عبدالرحمن بن سليمان الاهدل ـ مركز الدراسات والابحاث اليمنية .

٤٩ ـ نهج البلاغة للإمام علي ـ تحقيق د. صبحي الصالح ـ دار الكتاب اللبناني .

٥٠ ـ الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز ـ خير الدين الزركلي ـ دار العلم للملايين .



ÇÓã ÇáßÊÇÈ:ÇáÔíÎ ÚÈÏ ÇááÉ ÚÈÏ ÇáÛäì ÎíÇØ ÇáÎØíÈ Ýì ÇáãÓÌÏ ÇáÍÑÇã
ÇÓã ÇáãÄáÝ:ãÍãÏ Úáì ÍÓä ÇáÌÝÑì
ÑÞã ÇáæÇÑÏ:54797
ÑÞã ÇáÊÕäíÝ:920/Ì æ Ô
ÚÏÏ ÇáãÌáÏÇÊ:æÇÍÏ